

المؤتمر الأفريستي (1) بتونس حملة صليبية عليها

بقلم : محمد الصادق عبد اللطيف

* شيء من التاريخ :

تونس في القرن العشرين هي وارثة افريكا (الاسم الذي كان يطلق في القديم على القسم الشرقي من شمال افريقيا) وهي ايضا وليدة افريقية الى تونس في الزمن الحديث فيها ما يقر بأن (تونس افريكا) هي النافذة الاولى أطلت منها الحضارات القديمة المتداولة بحوض البحر الابيض المتوسط من حضارة قرطاج العتيقة ثم حضارة منافستها الحقود (روما) ثم حضارة (بيزنطا) المسيحية التي زرعت في ربوع البلاد القونسية الكنائس والمعالم وهي محاولة فاشلة لكسب هذه البلاد نهائيا ويفضل توسط تونس بين المشرقين والمغربين وتقدمها في طريق الدعوة المحمدية الناهضة > كانت (تونس افريقية) أول قطر مغربي اعتنق الاسلام وانتصر لمبادئه > وجند طاقته لنشرها > وهكذا لغظت تونس >> جميع الغزاة وتغلّبت على مختلف الحضارات ولكنها تمسكت بالاسلام وبالرسالة المحمدية للأبد > ليبقى الدين الاسلامي في هذه البلاد قائما في المؤسسات فياضا في النفوس ذلك أن الروح الدينية والارادة الاسلامية في هذه الربوع الكريمة > متواصلة على مرّ العصور رابطة بوثيق الرباط بين عهد (عقبة) وفتوحاته الاولى > لتخليص دينه وأهل دينه من العبودية والذل وخطر الاضمحلال والاندماج > وقبل نكبة الاحتلال الفرنسي ظهر مسعى الكنيسة وفرنسا خاصة لتنصير تونس في المخططات الاستعمارية التالية باعتماد الوازع الديني والحد العنصري وذلك بعقد :

1- الحملة الصليبية الفرنسية على تونس أيام الدولة الحفصية

على عهد الدولة الحفصية زحف على تونس ملك فرنسا (لويس التاسع 2) بعد أن

أغراه شقيقه (شارل دانجوا 3) صاحب جزيرة صقلية) على غزو تونس لتكون تابعة له > فلم يتردد ملك فرنسا في اجابة طلبه لا سيما وقد ظاهره على مقصده كثير من ملوك النصارى (خاصة البابا) فجهز (لويس التاسع) الملقب (بالقديس) أسطولاً شحنته بأربعين ألف مقاتل نزلوا بأطلال (قرطاجنة) وأواخر ذي القعدة (668 هـ - 1270م) ودارت رحى الحرب بينهم وبين الجنود التونسيين وتواصل الكفاح ستة أشهر وضاق الخناق بين الطرفين وصادف مرض الوياء (الكوليرا) قد تفشى في الجنود > فهلك منهم خلق كثير من جملتهم قائد الحملة الفرنسية (الملك لويس التاسع) وبهذا انتهت الحرب بخسارة لفرنسا وصمود الشعب التونسي المسلم - لقد اعتنت حكومة الحماية الفرنسية فيما بعد لما احتلت تونس (1881 م) بالمكان الذي مات فيه (لويس التاسع) فاقامت عليه كنيسة (بقرطاجنة) جانب متحف الآثار الذي أنشأه (القسيسون) (الآباء البيض) - واليوم حوكت وزارة الثقافة التونسية تلك الكنيسة الى متحف للآثار والتاريخ كرد فعل وتغيير لشيء دخيل .

ARCHIVE

2- حركة التجنس

صرح رئيس الحكومة الفرنسية بول (بيتكور*4) بأن عدد الفرنسيين في تونس ليس كافياً وأن عدد الايطاليين أكثر وأنه لا بد من العمل لترجيح كفة الفرنسيين وذلك لا يتم إلا بالتشجيع على التجنس بالجنسية الفرنسية وكان قانون التجنس قد اتخذ سنة 1923 م وهو يسمح للتونسي المسلم بأن يصير فرنسياً فيتقاضى (الثالث الاستعماري) أي ثلث مرتبه علاوة على مرتبه الاصيلي) إسوة بالفرنسيين المستوطنين بتونس ، وقد قال رئيس الحكومة الفرنسية أن هذا الاجراء لا يكفي وأنه ينبغي التفكير في وسيلة أخرى لتشجيع حركة التجنس ودعمها وقد أيده المقيم العام لفرنسا في ذلك الوقت بأن أحسن طريقة لتحقيق ذلك هو استصدار فتوى من كبار المشائخ أمثال شيخ الإسلام والباش مفتى (تعتبر اعتناق الجنسية الأجنبية أمراً غير مخالف للدين ما دام المتجنس يصوم ويؤدي الزكاة ويحج إلى بيت الله الحرام) (وبذلك يتم القضاء على تخوف المسلمين التونسيين من التجنس بفتوى تصدر عن أقطاب الدين) وهكذا يصير المتجنس تابعاً للمحاكم الفرنسية لا

للمحكمة الشرعية وبها (أي بالجنسية الفرنسية يكون قد أعرض عن الامتثال لتعاليم دينه) ولما صدر هذا القانون هبَّ البعض من ضعاف الإيمان ، والعقيدة إلى الانسلاخ من الجنسية التونسية والاحتواء بالجنسية الفرنسية لينطبق عليهم القانون الوضعي الفرنسي في أمورهم العائلية والمدنية والقضائية وأن الغاية من التنصير هذه إبعاد التونسيين عن الحضيرة العربية الاسلامية ، والتجنس هو الجزاء المتم لمرآحل التبشير ولأن الحرب الصليبية الثامنة لم تنجح في المرة الأولى بتونس وأنَّ الشروط التي يجب أن تتوفر في المتجنس هي (أن يكون ذا مستوى ثقافي محترم أو من الموظفين الرسميين أو من الذين دافعوا عن فرنسا وانخرطوا في الجندية طيلة ثلاث سنوات) والغاية من هذا الحصر - في قانون - التجنيس هو المحافظة على مستوى المتجنس بأن تفقد الأمة نخبتها وإطاراتها الكفأة) .

لقد ثار الشعب التونسي ضد هذا القانون رغم أن (البعض) تورط وتجنس وحسب سلطات الحماية أنها انتصرت لا بالحرب والتبشير ولكن بالاغراء ، وقد وقف الشعب التونسي ضد كل المتجنسين وضد دفنهم في المقابر الإسلامية ذلك أن هذه السياسة وجدت أعمامها أحرين : أولهما القلعة العقيدة وهي (جامع الزيتونة) الذي حمى الدين واللغة ، وثانيها الحركة الوطنية التي جمعت طاقات شابة ومؤمنة ضحّت في سبيل تحقيق أهدافها في حماية مقومات شخصية تونس المسلمة ، لقد انتشرت المظاهرات في المقابر الإسلامية وتصدّى رجال السياسة من قادة الحزب الحر الدستوري التونسي القديم ونخبة الأمة وتلاميذ المدارس وأعيان البلاد إلى هذه الظاهرة احتجاجا على القانون أولا وعلى دفن أحد المتجنسين وتمسكا بفتوى الشيخ ادريس (5) مفتي بنزرت التي جاء فيها وهي مؤرخة بـ 31 ديسمبر 1932

نص فتوى الشيخ ادريس الشريف مفتي بنزرت

ما في بيان أحكام غسل الميت والصلاة عليه من أقرب المسالك للعلامة سيدي أحمد الدردير مع حاشية الشيخ سيدي الضاوي عليه حيث قال : فلا غسل وصلاة على الكافر وأن صغيرا ارتد لأن ردة الصغير معتبرة قيدها المحشي المذكور بقوله حيث كان يميز والآن تعتبر رده بالاجماع وأما الدفن في مقبرة المسلمين فإنه مثل

الصلاة والغسل إلا إذا اختلط بالمسلمين ولم يتميز منهم فإنه يغسل ويصلى عليه ويدفن في مقبرة المسلمين وكذا المتجنس لا يرث المسلم ولا يورث لقول صاحب الرحيب في موانع الارث (رق وقتل واختلاف دين : فافهم فليس الشك كاليقين) فإن قيل أي علاقة بين الدين والجنسية فالجواب أن المتجنس لم يقصد خصوص التجنس من أنه عربي أو أفرنجي وإنما مراده أن تجرى عليه أحكام الجنس الذي دخل فيه ونبذه لجنسيته ودينه وعدم اجراء الأحكام الشرعية عليه التي كان متمسكا بها تجرى عليه غيرها برضى منه ، فحينئذ لا دين له ، فإن قيل هل تقبل توبة المتجنس) انظر أقرب المسالك في باب تعريف الردة وأحكامها وغيره من كتب الدين) وانظر تفسير قول الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً .) وإنما أفتيت بدله لعوله تعالى (فلا تخشوا الناس واخشوني ولا تشتهروا بأبياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون 7) وقوله تعالى (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين 8) وقوله تعالى (ولا تشتهروا بأبياتي ثمنا قليلا وإياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون 9) وقوله صلى الله عليه وسلم (من سئل على علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار) .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

(انتهى من ادريس بن محفوظ الشريف في رمضان 1351 هـ الموافق لـ 31 ديسمبر 1932 .)

لقد تراجعت السلطة الاستعمارية وأوجدت مكانا منزوا في بعض المقابر الاسلامية لدفن (أي متجنس) بمنأى عن عموم المسلمين التونسيين (تحقيرا وإذلالا) وحتى لا يتورط البقية وحتى تشعر بقية العائلات بقيمتها أمام الرأي العام) وبعد هذا انتصارا وضربة قاضية ضد هذه الحركة التي كان يرمي من ورائها (سلخ التونسيين المسلمين) وجرهم إلى (الفرنسية) وهكذا بعد هذه الفضيحة تراجع بعضهم ممن (تجنس) وفشلت الخطة وشلت في مهدها بفضل وقوف عموم التونسيين ودرء الردة والاعتزاز بالاسلام عقيدة وسلوكا ومبدأ . وقد عمدت الكنيسة سنة 1925 إلى إقامة تمثال كبير (للكردينال لافيغري) (10) 1225 هـ 1892 م الذي كان داعية تنصير افريقيا الشمالية كلها وكان تمثالا كبيرا نصب في

مدخل باب البحر بينه وبين جامع الزيتونة في تلك الساحة التي تفتح عليها المدينة العربية العتيقة ، وكان التمثال يجسّم (الكردينال) وفي يده صليب يستعد لتركيزه على الأرض التونسية .

وقد وقعت مظاهرات ضد نصب هذا التمثال واحتج التونسيون وسبق منهم إلى السجن العشرات وبقي التمثال قائما في مكانه طيلة 75 سنة حتى الاستقلال حيث اقتلعت الحكومة التونسية الشعبية وأهدته لفرنسا .

(3) البدء بالتفكير في اعداد الخطة الصليبية التاسعة :

خامرت المستعمرين سنة 1930 وبمناسبة مرور مائة سنة على احتلال الجزائر وخمسين سنة على احتلال تونس فكرة احلال النصرانية من جديد ، فبرهنوا على أن اللاتنية المزعومة في فرنسا تكتسي في تونس طابع الحروب الصليبية المقيمة وأن الذي يحذوهم ليس فقط نية الاستغلال الموروث لثروات البلاد بل أيضا (اقتلاع جنود الاسلام منها) وارجاعها إلى (الكنيسة) .

فأقاموا المعابد في المدن والقرى والأرياف وقد وصلت بهم فكرة التنصير إلى تنظيم مؤتمر نصراني سنة 1930 وخرج قساوستهم وراهبانهم في زِي الصليبيين يجوبون شوارع هذه العاصمة الإسلامية منبت جامع الزيتونة الأعظم ومجاهرة بالعنوان الديني . (11)

(4) المؤتمر الافخرستي والغاية منه :

يقول أسقف قرطاج الرسمي محددا الغاية بكل وضوح : إنَّ الفكرة العظمى التي كانت تدور بين جنبي (سان لوى) والتي ورثها عنه (الكردينال لافيجرى) هي التي تدفعنا اليوم إلى عقد هذا المؤتمر . إنَّ مؤتمر قرطاج سيكون (حملة صليبية) جديدة ملؤها الكرم المسيحي والعقيدة النيرة) وفي مقال للكاتب الفرنسي (موران) (12) نشر بجريدة (تونس الفرنسية) إن المسيح سيتجول في طرقات وساحات قرطاج التي ارتوت بدماء شهدائنا وسيشاهد تلك الشعوب المختلفة من يهود ومحمديين ويونان وحش (13) ولا طين يتسابقون للركوع تحت قدميه . لقد غصّت شوارع مدينة تونس وكان مع الراهبان شبان يرتدون ملابس تشبه ما كان يرتديه أفراد الحملة الصليبية الثامنة التي قادها الملك الفرنسي

لويس التاسع المعروف باسم (القديس لويس) وكان هؤلاء الشبان مرتدين ملابس قساوسة القرن الثالث عشر ورافعين أعلاما بيضاء مكتوباً عليها (الصليبية التاسعة أي ها أننا دخلنا تونس التي لم يستطع لويس التاسع أن يقتحمها في عهد المنتصر بالله سنة 1270 م .

(5) الصَّبْغَةُ التبشيرية للمؤتمر :

لسنة 1930 خطورة كبيرة في تاريخ المغرب العربي إذ فيها تحدّى الاستعمار الفرنسي ومن ورائه الكنيسة الشخصية العربية الاسلامية بتنظيم احتفال بمرور المائة سنة على احتلال الجزائر والخمسين سنة على احتلال تونس وذلك بتنظيم هذا المؤتمر - العالمي الكنسي بتونس (بقرطاج) ذلك أنهم يعتبرون أن البلاد التونسية أرضاً تابعة للتراب الفرنسي ومدينة قرطاج رقعة مسيحية تغنى بها (فيرجيل) وزكّاها دم فرنسا (أي موت القديس لويس التاسع) بها والذي قدم إلى قرطاج على رأس الصليبيين ومات بها مويّداً ولذا يعتبر (لوى برتسلان) تونس أمّ الكنائس الافريقية والواجب يقضي ادماج المغرب العربي بإقطاره الثلاثة في التراب الفرنسي إذا اعتبروها بقايا (لاتيّية) ومقاطعات لا تنفصل عن موطن الأم ولذلك استقدم الصليبيون الجد الوفود : (كفزاة) لدار الاسلام وسمّوا كرنفالهم (حملة صليبية ، قربانية) وعدّوا انتصاراتهم بتعداد من اعتنق المسيحية من بين المسلمين على أيدي المبشرين وتبجّحوا بأن فرنسا ساعية بكل جهد لتنصير الأفارقة المسلمين المتخبطين في (ظلمات الاسلام والوثنية) حسب زعمهم : و يبدو تعصّبهم الديني فيما يلي :

(1) - العداة لأهل البلاد والرغبة في تنصيرهم كلّفهم ذلك ما كلّفهم (بدعم من السلطة وبالاغراء وبالقمع .)

(2) - إمطة اللثام عن نواياهم البشرية في مؤتمراتهم الدائم .

(3) - اكتسحوا المدينة العتيقة لنصب مكتبهم الدائم .

(4) - أنهم يرفعون وسط الكنائس وفي ساحات المدارس (راية الصليبيين) ويطنبون

في وصف قدوم الملك القديس (لويس التاسع) إلى تونس على رأس الفزاة .

(5) - انتخابهم آلافاً من فتياتهم والبسوهن الزي الصليبي للاستعراض الضخم في شوارع تونس .

- (6) - قَدِّمُوا القُرَّابِينَ إِلَى ضُحَايَا الْمَسِيحِيَّةِ فِي الْمَلْعَبِ الْأَثَرِيِّ بِقَرطَاج .
- (7) - ظَهَر عِدِيد الْكُتُب الَّتِي تَمَجِّدُ هَذَا الْمُؤْتَمَرُ وَتَدْعُو لَانْجَاةِ وَدَعْمِهِ .
- (8) - رَصَدَ مِلْيُونِي فَرْتَك مِنْ الْمِيزَانِيَّةِ التُّونِسِيَّةِ لِدَعْمِ الْمُؤْتَمَرِ وَالْانْفِاقِ عَلَيْهِ وَعَلَى الْحَاضِرِينَ فِيهِ .
- (9) - وَزَعُوا عَلَى فَقَرَاءِ الْبَادِيَةِ (صُلْبَان) صَغِيرَةٍ مِنَ الْخَشَبِ وَأَغْصَانَا مِنَ الزَّيْتُونِ وَخَبِرَا يَدْعُونَ أَنْ فِيهِ (دَمُ الْمَسِيحِ وَكَثِيرًا مَا يَطُوفُونَ بِشَكْلِ (مَظَاهِرَاتِ) رَافِعِينَ إِعْلَامَ الْكَنِيسَةِ مَتَرْنَمِينَ بِأَنَاشِيدِ ضَمَّنُوها أَنَّهُمْ يَسْعَوْنَ لِهَدَايَةِ هَذِهِ الْبِلَادِ إِلَى (الْمَسِيحِيَّةِ) الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلُ وَأَنَّهُمْ يَسْتَعِينُونَ بِاللَّهِ عَلَى الْوَصُولِ لِهَذِهِ الْغَايَةِ

ردود الفعل الوطنية

قاموا الوطنيون بكل جرأة وشجاعة وإيمان هذا المؤتمر ومنظميه وأبعاده الدينية والسياسية وذلك بـ :

- (1) - بِالْمَظَاهِرَاتِ الصَّاحِبَةِ وَالرَّفْضِ الْمَطْلُوقِ لِفِكْرَةِ الْمُؤْتَمَرِ وَتَنْظِيمِهِ عَلَى الْأَرْضِ التُّونِسِيَّةِ وَحُضُورِ الطُّفْلِ الرِّهَانِيَّةِ الَّتِي مَا تَزَالُ تَحْمِلُ الْإِحْقَادَ الدِّينِيَّ لِأَهْلِ الْبِلَادِ وَلِكُلِّ الْمُسْلِمِينَ .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>
- (2) - بِالْإِضْرَابِ عَنِ الْعَمَلِ وَغَلَقِ الدُّكَاكِينِ وَتَوَجُّهِ الْبَرَقِيَّاتِ الَّتِي يَبْرُزُ فِيهَا أَصْحَابُهَا التَّضَامُنِ التَّامَ لِدَرْءِ الْخَطَرِ مَهْمَا كَانَتْ التَّضَحِّيَاتُ .
- (3) - بِالْاجْتِمَاعَاتِ الْمُتَتَالِيَةِ فِي نَوَادِي الْحَزْبِ وَجَامِعِ الزَّيْتُونَةِ الْأَعْظَمِ وَالَّتِي فِيهَا فَضَحَ الْخُطَبَاءُ نَوَايَا أَهْلِ الْكَنِيسَةِ وَرِجَالِ السُّلْطَةِ الْإِسْتِعْمَارِيَّةِ مِنْ وَرَاءِ التَّبَشِيرِ .
- (4) - تَصَدَّقِي تَلَامِيذُ (جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ وَالْمَدْرَسَةِ الصَّادِقِيَّةِ) لِكُلِّ مَا مِنْ شَأْنِهِ يَمَسُّ عَقِيدَةَ الْأُمَّةِ التُّونِسِيَّةِ الْمُسْلِمَةِ وَمَا يَضُرُّ بِسَمْعَتِهَا كَأَمَّةٍ (مُحَمَّدِيَّةِ) وَقَدْ رَدَّ الْبُولِيْسُ الْفَرَنْسِي عَلَى هَذَا الْعَصْيَانِ بِتَطْوِيقِ (جَامِعِ الزَّيْتُونَةِ) لِمَنْعِ تَسَرُّبِ الْمَظَاهِرَاتِ مِنْهُ وَلَكِنَّا خَرَجَتْ وَتَصَدَّقِي سَبْعَةُ آلَافِ طَالِبِ زَيْتُونِي وَمُدْرَسِي لِكُلِّ تَحْرُكٍ بُولِيْسِي مَهْمَا كَثُرَ .
- (5) - الْإِحْتِجَاجَاتُ الْكِتَابِيَّةُ الَّتِي تَقْدِّمُ بِهَا الْمَوَاطِنُونَ إِلَى سُلْطَةِ الْحَمَايَةِ وَإِلَى الْوَزِيرِ الْأَكْبَرِ وَإِلَى الْبَايِ .

(6) - المحاكمات التي شهدتها المحاكم الفرنسية لم تفت من ساعد المواطنين ولم ترهبهم الأحكام ، ولم تفت في ايمانهم الصلب القوي لا مظاهر القوة ولا البوليس ولا الجيش ولا الجندمة .

(7) - ردود فعل الصحافة الوطنية التي نقلت بالكلمة والصورة ما جدّ ويجدّ من ردود الفعل والصدى الطيب لهذا التحرك الذي يدعمه الشعب التونسي برمته للذود عن دينه وعقيدته ووطنه .

(8) - الدعم الشبابي من خارج تونس (طلبة شمال افريقيا من فرنسا ، رواق المغاربة بالأزهر الشريف) كلهم يندّدون بهذا المؤتمر الافخرستي الذي ينعقد في تونس ، الأرض المسلمة ، ويضمّون أصواتهم إلى أصوات أخوانهم المسلمين في كل بقاع الدنيا .

اخفاق المؤتمر

بهذا الرد الديني الصادق لم يقدر رجال الكنيسة على القيام بما كانوا ينوون القيام به من الأعمال التبشيرية بسبب الصدمة التي لا قوها من غضب الرأي العام ورفض الأوساط المسلمة للتعاون معهم ولم تزد الاحتفالات الرسمية للمؤتمر على الثلاثة أيام وقد جعل نائب (البابا) منها يوما للاعتراف والثاني للغفران والثالث للتبريك ولم تقتصر الاحتفالات على الدعاية الدينية بل هناك شيء من الدعاية السياسية فالرهبان الايطاليون يتحدثون إلى المسلمين بأن هؤلاء يرجعون إلى أرومة رومانية وأن في سحنة وجوههم دليلا قاطعا على صحة هذا الزعم وأن العرب لم يغيّروا غير اللباس والمعتقد اللذين يسهل تركهما واعتناق مجد روما . وكذلك عمل الاسبان والألمان وأضراهم من الطوائف الأخرى ، ولكن أبى الله إلا أن يخذلهم ويخفق آمالهم وأمانهم وكان النصر للاسلام في هذه الديار بفضل الإيمان القوي وشخصية جامع الزيتونة وإشعاع إداراته الدينية وتغلغلها في النفوس وامتداد هذا الشعور إلى المدارس الثانوية كالصادقية والعلوية واللسي كارنو .

ثم وبالوعي السياسي الذي قوبل به المؤتمر وأهدافه والرفض له ولخطته رغم الدعوات المتكررة من الكنيسة فيما يلي (أننا نحرّض المسيحيين ولا سيما من

سيجتمع منهم بقرطاج بأن يبتهلوا إلى الله تعالى : أن يعلي شأن الكنيسة وأن يفيض أنوار المذهب الانجيلي على الجموع البشرية المنبثة في نواحي افريقية الفسيحة والذين لا يزالون محرومين للآن من الحقيقة التي هي أمهم المشفقة عليهم كثيرا)

وإذا كانت الحرب الصليبية هي الحروب التي تدعو إليها (البابوية) متخذة الحروب التي أثرت ضد بني عثمان لا تخرج عن نعتها بالحروب الصليبية ، وكانت الحروب التي أثرت ضد المسلمين بالاندلس تتجلى فيها الحروب الصليبية بصفة واضحة جلية . وإذا كانت الحروب الصليبية في المشرق قد انتهت إلى خيبتها المرة فإن الحروب الصليبية في المغرب (الاندلس) قد انتهت إلى انتصار صليبي حاسم انتهت بزوال الاسلام والمسلمين وانتصار المسيحيين (9) .

أبعد هذا نشك في دوافع المؤتمر ونرجعه إلى مجرد (لقاء كنسي عادي) من خلال هذا العرض نعتقد جازمين بأنها حملة صليبية تاسعة ضد الأقطار المسلمة المسلمة هدفها السيطرة عليها وتنصيرها ، ولكن الايمان دحض هذه الفتنة وكل فتنة مست عقيدتنا وأعطى لتونس الوجه الاسلامي الذي اختارته وسارت على هديه رغم الاحتلال الذي استمر (75) سنة وقد لاقى فيها الشعب التونسي المسلم من ألوان القهر والتحكم والسيطرة والجور والاذلال ما ضيق عليه الطريق ولكن يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فيحفظ لتونس إسلامها وعروبيتها رغم هذه المحاولات والله فوق كل متجبر عنيد .

الاحالات:

- (1) كلمة الافخرستي يونانية الأصل تدل على (النعمة والخير والفضل)
- (2) ملك فرنسا : قائد الحملة الثامنة للبلاد الشامية والتي تحولت إلى تونس .
- (3) ملك صقلية شقيق لويس التاسع سافر صحبة أخيه في حملته على مصر .
- (4) رئيس الحكومة الفرنسية .
- (5) الشيخ ادريس بن محفوظ مفتي بنزرت (العمل 1983/1/10) .
- (6) الآية رقم 63 - 64 - من سورة النساء .
- (7) الآية * 43 - 44 * المائدة .
- (8) الآية * 54 * الذاريات .

(9) الآية رقم 40 - 42 - من سورة البقرة .

(10) راهب فرنسي يعدّ من أشهر المبشرين الذين عملوا على توطيد الاستعمار الفرنسي والدعاية المسيحية في القارة الافريقية له مساعدون من (الرجال الآباء البيض) رمز النساء (الأخوات البيض) لكنه نشاطا ملحوظا في الجزائر وتونس وأفريقيا الاستوائية والعربية والسودان وغيرها وفي سنة 1875 م سعى إلى إحياء مدينة قرطاج عندما كلّف الآباء البيض بالتنقيب على الآثار المسيحية والنهوض بها عمرانيا ودينيا .

(11) قرر البابا (بيو الحادي عشر) إقامة الدورة الثلاثين للمؤتمر الافخريستي بقرطاج من 7 إلى 11 ماي 1930 .

(12) كان المحرّض على إثارة فكرة المؤتمر الراهب الفرنسي (ريمون مرتان) أستاذ اللغة العربية بدير الدومنيكان بتونس وصديق الخليفة الحفصي المستنصر . 1270 م .

(13) كان القادمون للمؤتمر من فرنسا - إيطاليا - مالطة - بلجيكا - هولندا - انكلترا - أمريكا - المولونيا - تشوكوسلوفاكيا - أرمينيا - سوريا - روسيا .

المراجع:

- (1) تونس المسلمة اعداد كتابة الدولة للاعلام 1977
- (2) ظاهرة عربية معلومات تدوينها مكتب الأخبار التونسية بالقاهرة . كتاب صدر 19 م 1349 هـ . (نشر بالمجلة التاريخية المغربية 19 / 20 / 1980) .
- (3) وثيقة المغرب : عمر فروج : دار الكتاب اللبناني 1957 .
- (4) شخصيات ومذاهب : أحمد خالد 1980 .
- (5) خطب الحبيب بورقيبة : 06 فيفري 1961 . 9 نوفمبر 1973 . 3 ديسمبر 1974 . 19 ديسمبر 1975 .
- (6) ملحق العمل : 10 جانفي 1983 ندوة فكرية حول الشيخ ادريس .
- (7) قضايا فكرية : الدكتور الحبيب الجناحاني .
- (8) مجلة جوهر الاسلام : حكم التجنيس لجنسية دولة غير اسلامية : الشيخ الشاذلي النيفر) تقدير مقدم للمجمع الفقهي بمكة في دورته السادسة 1984 .
- (9) الحروب الصليبية : محمد العروسي المطوي طبع بتونس 1374 هـ 1954 (ط 1)



الشخصيات في رسالة الصاهل والشاحج

لأبي العلاء المعري

- 2 -

بقلم : البشير الوسلائي

* الباب الثاني من العلاقات : علاقات الانسجام والمساعدة
خلال تصاعد الأحداث في التسلسل القصصي ، يظهر أحد الفواعل ليتخذ
لنفسه وظيفة المخلص أو المنقذ . وغايته في البناء الفني مزججة فهو من ناحية
يعدّل من وضعية البطل فيجتنّب السقوط إثر الفشل أو يبعث فيه الأمل بعد يأس ،
ومن ناحية أخرى يغيّر اتجاه القصّ المقرّر منذ البدء فيدفع به إلى مسالك جديدة .
وذاك كان دور الثعلب منذ ظهوره في حلبة الأحداث . لقد جاء شاهرا في وجه
الشاحج هذه القولة : " إن لك معي بشارة " (27) ، يريد بعث الأمل في نفسه ،
ومساعدته على الثبات في الصراع والمواجهة ، خصوصا وأنه خرج منهارا بعد
خيبات متتالية . وذاك ما تمّ فعلا ، فالشاحج قد شعر بتجاوب مع الثعلب وانسجام
واضح يبرز من خلال العبارات المستعملة " بورك صباح الثعالب ما زلت ميمونا من
رهم ميامين " (28) . وهو انسجام يبلغ حدّ التضحية والتنازل عمّا يملك لفائدته .
إنه يعترف قائلا : " ولو قبلت كلابُ المصرِ وصيّتي لأُصِيتُ لك بأطيب بضعة منّي ،
لا بل بالثُك من لحمي .. " (29) . ثمّ يضيف بنوع من المرارة والنقمة بسبب فشله
مع الشخصيات السابقة : " وأما الضبّع فأكبره أن تصيب منّي شيئا لأنها حمقاء
مومسة " (30) .

كما استطاع الثعلب بظهوره أن يغيّر اتجاه القصّ الذي استغرق القسم الأول
من الرسالة - ما يربو عن أربعمائة صفحة - نحو وجهة جديدة تخرج بنا من نطاق
عالم ضيق إلى آخر أرحب : لقد " سمعا لجّة في المصر ، فيقول الشاحج : ألا تعلمُ
لنا الخبر يا ثعلال ؟ ... " (31) إنّه التخلّص من حدود المكان الضيقة ومن المسائل

الذاتية المحدودة - إبلاغ الشاحج رسالته - وكوجا في حياة الجماعة وطرحا لقضاياها الموضوعية الراهنة التي تهدد وجودها الحضاري - ما العمل أمام تهايج الروم وعجز العرب عن مقاومتهم ؟ - إزاء هذا الدور التأثيري الفاعل ، إلى أي حد يصح القول إن شخصية الثعلب تعدّ من " الشخصيات البرامج (persoma) . وهي التي لا تتقبّل الحدث وإنما تصنعه وتغيّر في أحيان كثيرة مسار البطل " (32) ؟ لعلنا لا نملك إلا الإجابة بالإثبات لأن مجمل النص ينحو نحو تأييد هذه الخاصة .

فيكون ظهور الثعلب - وهو الشخصية " الدخيلة " على القصّ في إحدى مراحل - مهماً من حيث البنية والدلالة أيضاً - وليس أدلّ على قيمة هذه الشخصية من استغراقه مساحة نصية طويلة كامل القسم الثاني مما جعلها تحتلّ المرتبة الأولى من مجموع الشخصيات المتحاورة مع الشاحج . وعلى عكس شخصيتي البعير المتردد المعرض ، والصاهل الكاره النافر ... يحافظ الثعلب طوال النصّ على علاقة بالشاحج ميزتها القارّز والمساعدة والانسجام (33) . وهو نوع العلاقات الذي فقد مع الشخصيات جميعاً . ولعلّه من المفيد تجسيم هذه المقارنة في المثال التالي ، وهو من تصور غريماس (34) .

غاية الفعل

objet du desir

إبلاغ الرسالة وتحسين الوضع

محور الرغبة

axe du desir

الصراع

محور

axe de lutte	
مضادون	مساعدون
opposants	adjuvants
- الصاهل	
- الفاخنة	الفاعل
- البعير	sujet
- الضبع	الشاحج

((" من حزب الظالمين " على حدّ قول الشاحج : ص 214))
بل من الواضح أن الثعلب لعب وظيفة تكميلية تسدّ النقص الذي طالما شكّا منه الشاحج باعتبار أنه - أي الشاحج - أمتلك من الكفاءة (competence) عنصرين فقط هما المعرفة (savoir) والإرادة (vouloir) وعدم العنصر الثالث وهو القدرة (pouvoir) (35) نظراً إلى عماء . ويأتي الثعلب فيكمل هذا العنصر المنقوص . وذلك بتقلّله في المصرّ بأحداً عن الأخبار التي لا يستطيع الشاحج استقاء هات لعجزه عن التجوال . وهكذا تبلغ العلاقة بينهما درجة من الالتحام والتكامل (36) تنطبق عليها قولة " غريماس : " إذا كان الفاعل القادر (sujet competent) هو غير الفاعل المؤدّي (sujet performant) ، فإنهما لا يشكّلان رغم ذلك فاعلين مختلفين بل هما وجهان لنفس الشخصية (37).

غير أننا نلاحظ أن هذا التمازج قد أحدث ضعفاً فنياً حين نزع عن الشخصية خصوصيتها . ففي مقاطع كثيرة من الحوار يجوز لنا أن نستبدل المتكلم الأول بالثاني أو الثاني بالأول فلا يختلّ نظام البناء - من حيث مواقع الشخصيات - ولا نشعر بذلك التبديل . ويرتبط هذا في حقيقة الأمر بأسباب أخرى سنعرض إليها في موضعها مع شخصية الراوي .

ومن المظاهر المميزة لعلاقة الشاحج بالثعلب ظاهرة السكون والحركة . لكن لسائل أن يقول إن الشاحج كان ساكناً منذ البدء ، حتى مع الشخصيات الأخرى -

أجل ، بيد أن هذه الخاصية قد تجلّت الآن أكثر لأنّ الثعلب ، على عكس الشخصيات السابقة ، قد تميّز بالتنقل والحركة ذهاباً ومجيئاً ، فهو يقطع الحوار ليمضي مستجلباً الأخبار ثم يعود وهكذا دواليك – أمّا الشخصيات الأخرى فقد كانت تتحاور ثابتة في المكان لا تبرحه أو تتسحب انسحاباً بلا رجعة .
والثعلب بين خفاء وتجلّ ، يزوّد الشاحج بالأخبار ويمنحه الإجابات عن تساؤلاته
وفضوله :

الشاحج	الصفحة	الثعلب	الصفحة
- ألا تعلم لنا الخبر يا ثعال ؟	415	- العامة يخبرون أن زعيم الروم قد نهد إلى أرض المسلمين .	415
- قد هممت أن أكلفك توكّف الأخبار والقاء ما يصح منها عندك إليّ .. - والمكرّ في علم الأخبار عليك .	505 609	- وأجبتك إذا الصبح جشش بأخبار الناس - أخبرك أعاذك الله أني .. - جلّت من بعد مفارقتك في أشراء البلاد وأنتيتك بجوانب الأنبياء .	505 610

استناداً إلى هذا الجدول ، نقرّ بأن الثعلب اكتسب شخصية المزوّد أو المانح (donateur) وهي شخصية في القصص العادي والعجيب (fantastique) تُعين البطل على الخروج من مأزق ما .

في حين يدلّ قول الشاحج في موقع آخر : " أما أنا فياسرّت أصحابي وياسروني ووجدت المياسرة أفضل من المعاسرة : أخفوا حملي وأمرت بالصبر نفسي ، فحمد لهيب الفتنة وغيري الذميمة " (37) على أنّ تأثير الثعلب في مسار

البطل قد تجاوز الشكل الخارجي ليلمس الجوهر البسيكولوجي الذي تحول من الفتنة والاضطراب إلى الهدوء والاستقرار . مع العلم أن حركة الشاحج قد اتبعت نسق القصص المتعارف المعتاد وهو : هدوء - اضطراب - هدوء . مع اختلاف بين نوعية الهدوء الأول والهدوء الأخير .

4) تعليق عام على الشخصيات القصصية :

1- العلاقات :

يعتبر مبحث العلاقات بين الشخصيات مهماً من الناحية البنيوية الشكلية ومفيداً أكثر من البحث في الشخصيات ذاتها ، لا سيما أن الدراسات الحديثة تركز على هذا الاتجاه ، " فعندما تناول تودوروف بالتحليل رواية " لاكلو (laclos) (38) " العلاقات الخطرة " انطلق ، لا من الشخصيات ، وإنما من العلاقات الثلاثة (كذا) الكبرى التي يمكن أن تقوم بينها ، ألا وهي الحب ، والتواصل ، والمساعدة . أما جريماس ، فاقترح ترتيب شخصيات السرد حسب أفعالها لا حسب ماهيتها " (39) . لذلك حاولنا التركيز على هذا المنحى ، فتجّلت لنا شبكة علاقات خاصيتها التنوع والتضاد . وعلى مجموع خمس شخصيات لم تبرز سوى علاقة واحدة متناغمة مع البطل - وهما طفيان والعلاقات المعارضة إلا تكريس لمنحى البطل الضحية - وبموجب هذه البنية تصبح الشخصيات أيضاً ، عنصراً آخر متألفاً ضد البطل تماماً مثل عنصري المكان والزمان .

بوجه الشخصيات الأخرى :

نروم في هذه الجزئية أن ننظر فيما وراء الكلمات متجاوزين ظاهر النص إلى باطنه ، معتمدين على ظاهرة في النقد هي التوليد (interpretation) . والقصد من وجه الشخصيات الأخرى هو بعدها الرمزي . فبما أن النص القصصي محمول على المجاز في استنطاقه الحيوان ، فإن الفواعل نفسها أو هذه الشخصيات باعتبارها حوامل (supports) ، توحى للقارئ ببعض الرموز إحياء يتكشف حيناً ويتعزى ، ويتستر أحياناً ويتخفى . فصياغته المتوخاة بين علانية فاضحة وتكتم مغلق . وطريقة الرمز المتكتم هي الطاغية لأن الخطاب ، كما اختاره صاحبه ويحكم أدبيته قد تحول " عن سياقه الإخباري إلى وظيفته التأثيرية الجمالية (40) .

لقد أفضى بنا التأويل المعتمد على مبدأ الهيمنة (dominance) إلى ملاحظات تقريبية تكشف عن أثواب الرموز التي ارتدتها الشخصيات :-

- الصاهل : رمز الحسود المكابر المتعصب لرأيه والمطنب في الجدل .
- الفاخطة : رمز الفئة المخادعة التي تعتمد في تحركاتها على النسيمة والإيقاع بغية إيذاء الآخرين .
- البعير : رمز فئة غير متروية تهمل أعمال العقل ولا تستطيع الحفاظ على الموروث الأدبي أو الحضاري عامة .
- الثعلب : هو رمز إمام النحو المتضلّع في فقه اللغة . وقد بدا رمزاً صريحاً في موضعين من الرسالة :

الأول : " أتدري يا ثعال من أي شيء اشتق الضيئون ؟ وهيهات ! لعل سَمِيكَ " أحمد بن يحيى الشيباني " ما سمع خبراً لذلك . وهو نادرٌ من الكلام لأن ياء ه لم تُدغم بالواو " (41).

والثاني : " ولو كان " أحمد بن يحيى ثعلب " يتصرف تصرفك في الأدب ، لكان " آخر ثمالة - يعني المبردة - " قد ودّع لكانه العراق " (42).

أمّا الشاحج ، فهو شخصية مهمّة في الرمز سطحية وعميقة ، تكثر من الدعاء على الشخصيات الأخرى باستثناء الثعلب . ولئن كان الدعاء تعبيراً عن العجز فهو يتضمن فكرة خفية هي موقع الشاحج المضاد . إنه يقف بمفرده في الطرف الآخر ، يصارع تلك الرموز وينتقد تدهور الوضع والقيم متهيجاً تارة ، ساخراً تارة أخرى . وإذا تعمّقنا في جزئيات أخرى كثيرة تناثرت هنا وهناك في مظانّ النص ، نجزم القول إنّ الشاحج ليس سوى أبي العلاء المعري نفسه . وقد تراءت لنا وجوه الشبه بينهما في النقاط التالية :

- الإقامة والالتصاق بالمكان : السجن .
- تخمير العينين : العمى
- مظهر المسكين الضرير المحروم (من ارتياد المجالس مثلاً)
- سعة الاطلاع والحفظ .
- اعتبار فترة الجاهلية والاسلام الفترة النموذجية

- الجمع في التأليف بين النظم والنثر .

- تقعيد الشعر (الوزن والغريزة)

- نقد الشعر التكسبي

- نقد البيئة الاجتماعية

- نقد البيئة الاقتصادية

- نقد البيئة السياسية

- اعتماد السخرية .

وهذه النقاط تكاد تكون من الثوابت في أدب أبي العلاء فصداها وافر الحظ متواتر في ديوان اللزوميات وفي رسالة الغفران . بيد أن طريقة التعبير عنها قد اختلفت من هذا الأثر إلى ذاك ، أو من النظم إلى فنّ الترسّل .

(5) الشخصيات الإنسانية (أو التاريخية)

تتمازج الشخصيات الحيوانية بالشخصيات الإنسانية في هذه الرسالة تمازجا شديدا . وكما طفحت رسالة الغفران بتعدد الشخصيات ، جاءت رسالة الصاهل والشاحج حاوية عددا كبيرا من الشخصيات الإنسانية ، معاصرة وقديمة ذلك أن صاحب النص موسوعي الاطلاع كثير الإحالة ، فالأعلام الذين ذكروا - وعلى رأسهم الشعراء - عديون .

وما تناولنا هذا الجانب ، إلا لتركّز خاصة على شخصية تواتر ذكرها على ألسنة جميع الشخصيات القصصية . وهي شخصية الأمير عزيز الدولة (43) . وقد تميّز هذا الذكر باتجاه وحيد جليّ هو الإطراء - فالشخصيات جميعا متفقة على اللهج بالثناء المطرد والمدح المتواصل - وكلما ذكر هذا الاسم ، اقترن بجملة اعتراضية دعائية ك : " أعز الله نصره " و " خلّد الله أيامه " لذلك لا مناص من طرح السؤال : أهو إطراء حقيقي ؟ .

إن قراءة النص ومساقلته تفرّزان إجابة قطعية أو تكاد . ذلك أن أبا العلاء ، متخفيا وراء الشخصيات ، وعلى طريقته المعهودة في رسالة الغفران يبلغ الشيء حدّه حتّى ينقلب إلى ضدّه . فلقد ضخّم من شأن هذا الأمير حتّى جعله يسيطر على الأوضاع الأمنية سيطرة الأبطال الجبابرة الاسطوريين - في حين لا يخفى

على الدارس مدى تدهور الأوضاع في تلك الفترة وعجز الساسة عن التصدي ومواجهة الانقسامات الداخلية . كما صورّه مهتمّاً بالرعية مؤنساً لها أيناسا تجاوز كلفة السلاطين - في حين كانت الرعية تعيش الفزع والهول من جرّاء الفتن - وغير هذين المثالين كثير في الرسالة . والكثرة دليل على انقلاب معنى الإطراء إلى ضدّه

وفي مقدمة الرسالة ، في مدخل موضوعي بعنوان : " عالم الإنسان ، في منطق الحيوان بين كلفة ودمنة ، والصاهل والشاحج " ، أشارت بنت الشاطئ إلى شخصية عزيز الدولة معتبرة إيّاه بالمقارنة مع " ابن القارح البطل المشهود على مسرح الغفران ، بطلا غير منظور " (44) يظهر بأسلوب غير مباشر - ولئن بدت هذه المقاربة جائزة في معنى " البطولة " - ومفهوم البطولة هنا لا يخلو من خلط بين مفهوم الشخصية النواة المتحركة داخل النصّ القصصي ، ومفهوم البطل من الخارج أي الشخصية التاريخية المشهورة - فهي مقاربة تنطبق أكثر على معنى السخرية (ironie) - ذلك أنّ أبا العلاء قد اتبع مع هذين الشخصيتين الطريقة نفسها أي الجمل الاحتراضية الدعائية ، والإطراء المبالغ فيه المنقلب إلى ضدّه وينصّ تعريف السخرية في القاموس الفرنسي على أنّها " حالة هزّة تتمثل في قول شيء يقصد عكسه ، مع الاستعانة ، بنغمة الصوت " (45) - وهذا ما كرسه أديبنا في موقفه من عزيز الدولة .

ولقد كان أبو العلاء أديبا ساخرا (ironiste) لكثرة توخّيه هذا المسلك - وهو يستعمل السخرية لا رغبة في الإضحاك وإنما هي سخرية تخفي وراءها موقفا وتدعو إلى التأمل في الذات التي انبثقت عنها وفي الموضوع / الواقع الذي تنتمي إليه .

وفي حين لا يواجه الكاتب شخص عزيز الدولة مواجهة مباشرة ، ولا يتهمّ منه بصورة جليّة ، فهو يبطن سخرية مرّة لاذعة - فسخرية أبي العلاء تؤذي نفس صاحبها أكثر من إيذاها الآخرين - إنها ليست تهكّما (sarcasme) أي سلاحا ضدّ الغير ، بقدر ما هي " عبث يأس ، عبث رجل استوى عنده كلّ شيء ، لأنه لا يؤمن بغير ألمه ، بل ولا يستطيع بطبعه أن يعبر عن هذا الألم إلا في خفر وحياء " (46) .

لذلك لابد من معاناة داخلية إذا رمنا قراءة سخرية أبي العلاء ووضعها موضعها

* الهوامش :

(1) عن مصطفى التواتي : دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهنية ، الدار التونسية للنشر 1986 ص 31 .

(2) . (paris) 1988 , librairie larousse 1989 , petit larousse illustre

(3) يقول توفيق بكار : قد تبدو العلاقات بين الفواعل متنوعة جداً ولكن من السهل إرجاعها إلى ثلاثة أنماط فقط الرغبة " التواصل " " المشاركة " (شهادة المناهج الحديثة في اللغة والآداب - مادة الدرس رقم : 11) أخذاً عن تودوروف .

(4) حسين الواد : البنية القصصية في رسالة الغفران ، الدار العربية للكتاب ط 3 تونس 1977 ص 77 .

(5) ثامر الغزي : البنية والدلالة في شرق المتوسط لعبد الرحمان منيف (شهادة الكفاءة في البحث) 1987 .

(6) عبد الفتاح ابراهيم : البنية والدلالة في مجموعة حيدر حيدر القصصية " الوعول " الدار التونسية للنشر 1986 - ص 27 وأشار الشاذلي بن عمار في بداية مقاله : " الشخصيات في رواية الوشم لعبد الرحمان مجيد الربيعي " إلى أن كلمة شخصية اكتسبت في الرواية عموماً مفاهيم متعددة بتعدد المدارس الأدبية والاتجاهات النقدية التي اهتمت بها " وأضاف أنه " يمكن حصر هذه المفاهيم في 3 محاور :

(7) هناك من يرى أن الشخصية كائن بشري من لحم ودم يعيش في مكان وزمان معينين .
(8) ويرى آخرون أن الشخصية هيكل أجوف ووعاء مفرغ يكتسب مدلوله من البناء القصصي ، فهو الذي يمدّه بهويته .

(9) أما الفريق الثالث فيعتبر أن الشخصية متكونة من عناصر ألسنية وهي علامة من العلامات الواردة في النص أي أنها ليست رمزا لهيكل بشري له ذات متميزة " ص 48 . مجلة الحياة الثقافية - السنة الخامسة عدد 8 مارس - أبريل 1980 .

(10) د . سامية أحمد أسعد : التحليل البنوي للسرد . مجلة الأقلام العدد 3 السنة 14 (ديسمبر 1978) ص 8 .

(11) أبو العلاء المغربي : رسالة الصاهل والشاحج ط 1 دار المعارف بمصر 1975 (مقدمة بنت الشاطئ ص 40 خاصة)

(12) p.smoor : enigmatic allusion and double meaning in maarris newly discovered letter of a horse and a mule . journal of arabic literature . volume . 1981 .

(13) حسين الواد : البنية القصصية في رسالة الغفران ص 84 .

- (14) مفهوم البطل حسب figures gerard genette
 إن البطل هو الشخصية التي يضعها السارد تحت المجهر
- (15) رسالة الصاهل والشاحج : ص 90 .
- (16) المصدر السابق : ص 96 ، 97 .
- (16) المصدر السابق : ص 101
- (17) المصدر السابق : صفحات 214 - 216 - 241 .
- (18) المصدر السابق : ص 206 .
- (19) رسالة الصاهل والشاحج : ص 216
- (20) حسين الواد : البنية القصصية في رسالة الغفران ، (ص 78)
- (21) رسالة الصاهل والشاحج : ص 188 .
- (22) رسالة الصاهل والشاحج : ص 202 .
- (23) رسالة الصاهل والشاحج : ص 198
- (24) المصدر السابق : ص 207 .
- (25) ممّا يدلّ على تحالفهما قول الشاحج : " وأعانتك على أذيتي الفاخنة " ص 218 .
- (26) رسالة الصاهل والشاحج : ص 207 .
- (27) إنه يخاطبه قائلا : " أمّا وصفك نفسك بالنسيان وقلة الفهم فصدقت " ص 378
- (28) رسالة الصاهل والشاحج : ص 412
- (29) المصدر السابق : ص 411
- (30) المصدر السابق : ص 412
- (31) رسالة الصاهل والشاحج : ص 412
- (32) المصدر السابق : الصفحة نفسها
- (33) المصدر السابق : ص 413
- (34) المصدر السابق : الصفحة نفسها
- (35) المصدر السابق : ص 415
- (36) ثامر الغزوي : البنية والدلالة في شرق المتوسط (شهادة الكفاة في البحث 1987)
- (37) احتوى الحوار بينهما على ألفاظ كثيرة من سجل الانسجام والمساعدة (صفحات : 412 ، 413 ، 441 ، 505 ، 608 ، 609 ، 610 ...)
- (38) كما ورد في كتاب سمير المرزوقي وجميل شاكر : مدخل إلى نظرية القصة : ص 72 .
- الدار التونسية للنشر 1985
- (39) في بحثه " في البنية القصصية ودلالاتها تطبيق نظريات علم القصص على رواية جزائرية " الزلزال " للطاهر وطار " يتوّل محمد القاضي القدرات إلى أربعة عناصر : وجوب الفعل وإرادة الفعل واستطاعة الفعل ومعرفة الفعل . الحياة الثقافية عدد 41 ، 1986 ص 18 .
- (40) يخاطب الشاحج الثعلب قائلا : " إني لحليف الوحشة إذا فارقتك ... " ص 609 .

- (41) عبد الفتاح ابراهيم : البنية والدلالة في مجموعة حيدر حيدر القصصية " الوعول " الدار التونسية للنشر 1986 ص 44 .
- (42) رسالة الصاهل والشاحج : ص 610 .
- (43) (laclos pierre choderlos de) 1741 - 1803 ضابط وكاتب فرنسي (العلاقات الخطرة : 1782) =
- larousse pluri dictionnaire paris 1986 , p 772
- (44) د . سامية أحمد أسعد : التحليل البنيوي للسرد . مجلة الأقاليم . العدد 3 . السنة 14 (ديسمبر 1978) ص 6 .
- (45) عبد السلام المسدي : النقد والحداثة . دار الطليعة بيروت ط : 1 1983 . ص 53 .
- (46) رسالة الصاهل والشاحج : ص 428 (وأحمد بن يحيى هو إمام نحاة الكوفة في القرن الثالث للهجرة .)
- (47) رسالة الصاهل والشاحج : ص 608 (والمبرد هو محمد بن يزيد المبرد . شيخ أهل النحو والعربية في القرن الثالث ومن أشهر مؤلفاته (كتاب الكامل) توفي ببغداد سنة 285 هـ .
- (48) هو عزيز الدولة فاتك بن عبد الله وكنيته أبو شجاع والي حلب وأعمالها (407 ، 413) هـ .
- (49) رسالة الصاهل والشاحج : المقدمة ص 42 .
- (50) larousse pluri dictionnaire paris 1986
- (51) د . محمد مندور : في القيزان الجديد . دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة . ص : 144 .



الفكر السياسي في أدب محمد البشروش

بقلم : الأزهر النفطي

يقول السياسي الفرنسي البارز " ادغار فور " الذي باشر ملف استقلال تونس في مذكراته (دروس السيد البشروش) متحدّثاً عن محمد البشروش :
" وساعدني البشروش على حقيقة إدراك الموقف التونسي ودرجة بعده عن التّصوّر المتفائل والمنقوص الذي يقدّمه الاعلام الرسمي ، وكان البشروش كالحبيب بورقيبة يؤمن بانتصار الحلفاء ، وكان مثله يتمنّاهم . كان يعتقد بأن الأمر سيساعد على وصول تونس إلى الاستقلال الذي يرى أنه سيكون على مراحل وأن فرنسا بحكم مشاركتها في النصر ستتولى بنفسها هذا التطور الذي طال كبجه بسبب سوء تصرّف الإدارة المباشرة ذلك أن قسماً كبيراً من الشعب التونسي استقبل بحماس وصول القوات الألمانية الذي كان يعني بالنسبة إلينا نهاية العهد الحماية " ترجمة الدكتور حافظ الجمالي القسم الثاني من المذكرات دمشق 2007

من الناحية المنهجية حدّدنا محاور هذا العمل في أربعة عناصر أساسية :
أ) الزمن السياسي في فكر البشروش .
ب) الانتماء القومي والانتساب القطري في أدب البشروش .
ج) البعد المغاربي الشمال إفريقي في كتابات البشروش .
د) الولاء الديني في مؤنّة محمد البشروش .
الزمن السياسي في فكر البشروش :

يقول الأستاذ المنجي الشملي في افتتاحيات مجلة التجديد 1961 - 1962 تحت عنوان " جدلية النهضة الثقافية والازدهار الاقتصادي " : « المثقف المضطلع بدوره الحقيقي في المجتمع هو الذي يخرج من غيبوبته ليبي الوضع العام على حقيقته في الوطن فيجرى على النظر ويجرى على الجدال ويجرى على الحكم ويجرى على تحطيم المذاهب الهرمة ويجرى على وصف الهياكل المهذّمة فينشئ على

أنقاضها مذاهب جديدة تنسجم والحياة الجديدة وهياكل يدخلها نور العقل وضوء الفكر وعبير الإيمان » .

عاش محمد البشروش فترة تيقظ وتحمّس تأسست على الإحساس الحاد بالوعي القومي وعلى الحب العظيم لتونس والانتساب إليها وتجذّر في تربتها فناضل بالقلم والفكر طيلة حياته القصيرة 1911 - 1944 من أجل تأصيل الكيان وتأكيد الذاتية الوطنية وثبتت شرعية الشخصية القومية التونسية والدفاع عنها بحماس فيأض مع مواكبة مسيرة التحديث والتجديد والتطور والانفتاح على الآخر فاعتبر محمد البشروش علما من أعلام حركة الإصلاح في تونس واعتبرت كتاباته الجريئة في شتى ألوان الفنون ومجالات الابداع رسالة إصلاحية وإضافة فكرية إلى المقولة السياسية لرواد حركة الإصلاح في تونس في القرن التاسع عشر . وقد مرّ محمد البشروش بفترة تأزم غدّتها جملة من الأحداث السياسية والاقتصادية الداخلية والخارجية منها : - مبادئ " ولسن " لسنة 1919 .

- تأسيس الحزب الحرّ الدستوري التونسي 1920 بزعامة المرحوم عبد العزيز الثعالبي .

- بوادر الحركة العالمية التونسية بزعامة محمد علي الحامي الذي سعى سنة 1924 إلى توحيد صفوف الطبقة الشغيلة في تونس .

- قانون 26 جانفي 1926 لتحديد حرية الصحافة وضبط ما تسميه سلطات الحماية بالجرائم والمخالفات .

- تأثيرات الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 .

- انعقاد المؤتمر الأفخارستي بمدينة قرطاج سنة 1930 إمعانا من سلطات الحماية في مواصلة تحدي الشعور القومي للتونسيين .

- رفض التونسيين لسياسة الفرنسة والادماج ومنعهم دفن المتجنسين بمقابر المسلمين 1933 .

- تأسيس الحزب الدستوري الجديد بمؤتمر قصر هلال في 2 مارس 1934 .

- حوادث 9 أفريل 1938 واستشهاد أكثر من عشرين مواطنا تونسيا وجرح المئات من العزل .

– الحرب الكونية الثانية 1939 – 1945 .

– نفي المنصف باي إلى قرية الاغواط بالجنوب الجزائري 1943 لمواقفه الوطنية الشجاعة المناهضة لسلطات الحماية

هذه المرحلة العصبية مكّنت محمد البشروش من إدراك خفايا اللعبة السياسية وإثارة القضية الثقافية من منظور سياسي يقوم على الغيرة على الوطن فكان عمله الثقافي عامّة يتجاوب مع الواقع السياسي السائد في ربوع الإيالة آنذاك حيث فتح لأول مرة ملف التعريب في تونس وطرح قضية التونس وناضل من أجل القومية التونسية وفي ذات الوقت كان لمحمد البشروش تأثير سياسي مشهود على الرموز الفرنسيين الذين باسروا ملف قضية استقلال البلاد التونسية ومنهم " ادقارفور " الذي اعترف بذلك صراحة في مذكراته كما أسلفنا .

على هذا الأساس ، تبلورت مواقف محمد البشروش في كتاباته المتنوعة من مواقف رموز السياسة في تونس في ذلك العهد أبرزها قضايا الوطن العادلة والمطالبة بحقوق البلاد واستقلالها لأن السياسة في نظر البشروش رسالة لأبد من تبليغها على أكمل الوجوه ، فسلطات الحماية لا ترحب إلا من أصحاب المواقف الشجاعة والزعامة الحريصة على اقتلاع حقها بجرأة وإعادته إلى أصحابها الذين حرّموا منه . فكتب محمد البشروش فصلا خطيرا عن حياة المرحوم البشير صفر وعن خصائص حركته الإصلاحية نقد فيه بشدّة الخطبة التي ألقاها أمام المقيم العام الفرنسي بمناسبة تدشين مأوى العجز " التكيه " وتطرّق فيها إلى الوضع العام السائد بالإيالة قائلا : (إن جمعية الأوقاف تفعل الذي تستطيع لتخفيف عناء الفقر ولكن رغم إرادتها الطيبة فإنها عاجزة عن مواجهة الحاجيات الجديدة ، فطقوس الصناعة والتجارة التونسية وضالة التشجيع الذي تلقاه اليد العاملة واغتصاب الأراضي كل هذا يتثقل كاهل المواطنين بالفقر والإملاق) .

فلم ير محمد البشروش في خطبة البشير صفر سوى الاستسلام للأمر الواقع واسترحام سلطات الحماية واستجدائها واستعطافها لتغيير الوضع السائد وقد ذهب البشروش إلى نفي الزعامة بما في الكلمة من عرف ودلالة ومعنى على البشير صفر لأنه لم يُخلق حسب البشروش إلا للوظيفة الحكومية . وقد اختلف الأمر في

كتابات البشروش مع خير الدين والطاهر صفر ومحمود الماطري وعبد العزيز الثعالبي الذي وصل خبر نعيه إلى البشروش ومجلة المباحث تحت الطبع فكتب عنه يقول : « وقد كان رحمه الله من أئمة البيان وحجة صادقة في الأدب والعرفان . أول أديب تونسي عرف الحيرة وسئم النظم المعروفة والبدع المألوفة فبعث به وجدانه وخالص إيمانه إلى التطلع إلى بعيد البلدان فصال وجال وتغرب فنال . كان أدبه حياً وعلمه غزيراً غنيا . نفع العربية ورفع مجدها علواً في الأفاق على الإطلاق » .

الانتماء القومي والانتساب القطري في أدب البشروش ، يقول الأستاذ عبد الحميد سلامة في مقدمة بحثه الجامعي القيم : " محمد البشروش حياته وآثاره " عن الدار التونسية للنشر 1978 :

« ولعلّ ما سيميّز البشروش عن بقية معاصريه هو أنه كان عظيم الحبّ لتونس دائم التعلق بها منصرفاً إلى الحديث عنها في مختلف ألوان الأدب والثقافة والفكر واللغة والفن والتاريخ . »

هكذا لم يزرغ بصر البشروش ولا قلمه الموثوب في دفاعه الحماسي الرائع عن القومية التونسية والانتساب القطري لها في مختلف كتاباته بالصحف والمجلات على ذكر اللغة العربية بل شكّلت دعوته للكتابة بها جزءاً وفيراً من مقالاته الأدبية وتجاوزت ذلك إلى طلب تدريس برامج التعليم بجميع المدارس التونسية باللغة العربية إقتداءً بدول المشرق العربي كمصر والعراق وسوريا وفلسطين : " فإذا كنّا نريد رقي الصحافة والأدب العربية عندنا فأؤكد شيء هو أن تكون ثقافتنا عربية وأن يكون التعليم عندنا عربياً قبل كل شيء كما هو الشأن في مصر وسوريا والعراق وحتى في فلسطين ، وستظل الصحافة وحركة الأدب عندنا هي أمدا ما دام التعليم بجميع مدارسنا لا يُعنى بالعربية عنايته بالفرنسية . "

وإذا نظرنا في العلاقات الوثيقة التي ربطت البشروش بإعلام الكتاب الغربيين ومنهم خاصة الفرنسيين الذين أقاموا بمدينة الحمامات أدركنا بلا لبس سرّ دعوة البشروش إلى المصالحة بين اللغة العربية واللغة الفرنسية ومبادئه الأولى مرّة بإعادة رسكلة الأدب باللسان اللاتيني :

" فالذين كانت ثقافتهم فرنسية لا يفهمون العربية ونفهم إقبالهم على صحافة وأدب

غير صحافتهم وأدبهم ، والذين كانت ثقافتهم عربية وأدبهم ، والذين كانت ثقافتهم عربية محضة لا نراهم وهذا بصفة عامة يعنون بقراءة الصحافة لأنّ برامج تعلمهم تتبع مبادئ تعليم القرون الوسطى ولا تخلق فيهم ذلك الظمأ الروحي إلى معرفة أضف إلى هذا أن ثقافتهم دينية قبل كل شيء وهي على فضلها ثقافة محدودة تقيهم غرباء عن التعاطف ومزاياء ، غرباء عن مناحي الحياة لا ينفقون فيها ولا يفقهون لها صدئ . أما الذين ثقافتهم مشتركة فهم يقبلون على الأدب الفرنسي والأدب المصري ، أمّا الأدب التونسي الذي ما زال في المهد صبيّاً وصحافته فهم لا يجدون به غذاء هم وطعامهم .

ومع هذه المواقف المتعاطفة مع اللغة العربية ظلّ البشروش وفيّاً للأصالة متمسكاً بالجنور القروية حتى أن القصة الأولى والثانية من قصصه التي كتبها في حياته وقّعها باسم القروي فكانت كتاباته ملتزمة بالواقع السياسي فدعى الكتاب التونسيين إلى كتابة أدب قومي إنتماء وانتساباً لتونسيا قطريا لحما ودما لخلق شخصية تونسية متميزة عن غيرها من شخصيات الأوطان العربية الأخرى ، بمعنى كتابة أدب تتلمس فيه بلادنا روحها وكيانها وذاتيتها وتظهر به للعالم أمّة مستقلة لها خصائصها ومميزاتها « كتابة تختزل هدفا مزدوجا يرمي إلى إشعار سلطات الحماية بأن لتونس كيانها الخاص بها وكذلك تحسيس عرب المشرق بأن لتونس ذاتية مستقلة . وقد أراد محمد البشروش بهذه الدعوة تحريك همم وسواكن الكتاب التونسيين لتجلية القومية في الأدب التونسي الحديث فرأى بعضهم ومنهم زين العابدين السنوسي صاحب مجلة " العالم الأدبي " فيها شراكا منصوبة من قبل المستعمر ورفضها آخرون وأرتابوا في غايتها وتوقعوا منها أخطارا على العرب والعربية في تونس لكن محمد الحليوي رفيق البشروش أيدّ الفكرة ووصفها : " بأنها فكرة شريفة تقضي إلى غرض شريف ونفى أن يكون فيها كيدا للغة أو قضاء على القرآن أو إنفصام العروبة أو خطرا على الآداب . "

هذا الخط في الكتابة يبرز بوضوح فكر محمد البشروش الذي نادى بتكوين أسلوب تونسي في مقال نشر بجريدة النهضة سنة 1930 : " أن لكلّ أمّة أساليبها المميّزة لها في الكتابة والتفكير ، فليس لأمّة أساليب تشبه أساليب أمّة أخرى لأنه

ليس لنفس الأمم واحدة في تفكيرها وشعورها .

فحرية الأدب القومي في كتابات البشروش تكمن أساسا في توكيد صلة الفرد بما حوله وتمتين رابطة الإنسان بالدينا وتوسيع أفق المساجلة والتعاطف .

يقول الأستاذ المنجي الشملي : « الحرية كالجوز الصحيح لا تنتفع به حتى تكسره : نريد أن نكسر الجوز والكسر ثورة : ثورة سياسية إقتصادية إجتماعية عقائدية ثقافية على الخصوص لا تجزئة في انطلاقتها ، معركة كبرى أن نخوض غمارها جسورين في إيمان حذرين في روية » عن مجلة الفكر جوان 1960 .

وطبيعي أن يكون الأدب العامي من مرتكزات دعوة محمد البشروش إلى كتابة أدب قومي نظرا لقدرة هذا الأدب على التعبير عن مطالب ورغبات التونسيين بلهجة تونسية متداولة ، فتقريب المسافة بينه وبين الأدب الفصيح ضرورة حتمية باعتبارهما قطبين أساسين للأدب القومي . وقد ظلت هذه المساجلة المطروحة سنة 1930 محل اهتمام الكتاب العرب على مرّ السنوات في تونس وخارج حدودنا الضيقة وشهادة الأدبية الروائية العربية المعروفة " يُبنى العيد " المنشورة بمجلة الآداب اللبنانية العدد الأول جانتفي 1993 السنة 41 تؤكد حضور فكر محمد البشروش في كل العصور والأزمان : " الرواية مادة لغوية واللغة كما تعلم مخزون ثقافي يتكّس أو يموت إذا عزل عن الإنسان من جهة وعن الثقافات الأخرى من جهة ثانية وأعني باللسان المنطوق المحلي الحامل لعناصر من التجربة المعاشة ، وكحدّ من الدلالة المحسوسة والمرئية غير المستقرّة بعد في لغة وقابلة باستمرار لرفعها إلى صياغة ترمي بها اللغة السائدة لتجدّد وتستمرّ في الحياة " .

البعد المغاربي في كتابات محمد البشروش :

يُورد الشيخ أحمد ابن أبي الضياف في الجزء الخامس من كتابه إتحاف أهل الزمان مقولة على لسان أحمد باي لدى إنتدابه للجنرال محمد مرابط سنة 1842 وتنصيبه على رأس كتيبة من الجيش النظامي التونسي الذي تأسس سنة 1830 قائلا : " فإننا وإن جمعنا الأخوة الدينية والخدمة السلطانية لا ننسى نسبة التونسية " .

وتتسع نزعة الانتماء القومي والانتساب القطري في أدب محمد البشروش

وتسموا إلى درجة الإضافة من خلال خطاب فكري سياسي مشحون بصبغة وطنية مخصوصة تقوم على الدعوة لأدب مغربي أو شمال إفريقي في صلب فكرة القومية أو القطرية التونسية التي نادى بها البشروش تستند مواضيعها أساسا على دعوة الكتاب والأدباء التونسيين لتناول الحياة الريفية وتستعمل المواضيع مادتها الأساسية من الحياة القومية فتتسع آفاق هذا الأدب ويصير أوسع تعبيرا عن الحياة الحية لأنه صار أكثر إتصالا بالحياة وتصير العاطفة الإنسانية الجياشة فيه أرحب وأشمل ويؤدي وظيفته بصورة أتم وأكمل .

على هذا الأساس أهاب محمد البشروش بحملة القلم في تونس من معاصريه لإستلهم مواضيعهم من مكونات الحياة الريفية وتدوينها في أعمالهم كي تطلع الأمم الأخرى على واقع هذه الأرض الإفريقية المباركة التي نعيش فوقها وننعم بخيراتها .

ويذهب محمد البشروش بقناعاته الفكرية السياسية الموصولة بحب تونس ويجرصه على تأصيل كيان الأمة التونسية إلى أبعد من الدعوة إلى بعث أدب مغربي قائم على الانبعاث القومي كي يتأدي في كتاباته بتأسيس أدب شمال إفريقي ينخرط في صميم الأدب التونسي : " لأن تونس كانت عنوانا لمجد الشمال الافريقي وعنوانا لعظمته في مختلف الأعصر ومختلف الأزمان حين يقول : ولا نعني بالأدب التونسي إلا أدب الشمال الإفريقي في وحدة الجنس ووحدة التاريخ ووحدة المناخ ، وسميته تونسيا لأن تونس كانت عنوانا لمجد الشمال الافريقي وعنوانا لعظمته في مختلف الأعصر ومختلف الأزمان . فالنسبى الشمال الافريقي تونسيا مواقف فكرية سياسية شجاعة خرجت إلى النور في عصر كان الأدب التونسي شهادة محمد البشروش : " قانعا بالهمس راضيا بسجنه واصفاده " خائفا من مطرقة شيوخ التعصب والتزمت ومن غضب " الشيطان الخبيث "

الولاء الديني في مدونة محمد البشروش

يقول الأستاذ المنجي الشملي في كتابه " في الثقافة التونسية " عن دار الغرب الاسلامي ببيروت 1985 : الثقافة موقف اجتماعي من الواقع نابع لتغيير الواقع تغييرا جذليا ، هي ليست نظرة عقلية مجردة ولا فلسفة منفصلة عن الزمان والمكان

إنما هي شهادة يؤيدها الانسان ونداء يترجم عنه الانسان في مرحلة تاريخية للرقي
بالإنسان إلى منزلة أفضل "

كتابات محمد البشروش زاخرة بالحديث عن رموز الاسلام الذين أولاهم أديبنا
الراحل عناية فائقة ونظر إلى أعمالهم الجليلة التي أعلو بها من شأن الدين الحنيف
والأمة الاسلامية نظر إليهم بالعقل الراجح والرأي الحصيف وتحدث عن منزلتهم
الرفيعة وعن مآثرهم الخالدة في أكثر من مقال وأقوى من حديث وخصوصا في
المسامرات الاذاعية التي تواصلت سنوات طويلة إلى ما قبل وفاته بأسبوع حسب
شهادة رفيقه المرحوم محمد صالح المهدي المنشورة بمجلة المباحث العدد 9 صفحة
6 ، من بين هؤلاء الرموز الذين ذكرهم البشروش في أحاديث ومحاضراته : عمر بن
الخطاب وعمر بن عبد العزيز ومعاوية ابن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان وهارون
الرشيد وخالد بن الوليد والحجاج بن يوسف الثقفي وطارق بن زياد ... ولكن مواقف
محمد البشروش العقلانية من الانكماش والتزمّت وثورته على البدع المألوفة
والمسلمات القطعية المهرّنة التي اكتسبت حقها في البقاء بفعل التقادم وجبن الناس
عن تغييرها ظلت جليّة لا تقار عنها وموقفه من محاضرة الشيخ محمد المختار بن
محمود التي ألقاها بجامع الزيتونة المعمور تحت إشراف جمعية الشبان المسلمين
ونشرتها له مكتبة الرجاء التونسية تحت عنوان " الإسلام عقيدة وعمل فما حظّ
المسلمين منهما " ويتجلّى موقف البشروش من السطحية ومحدودية الفكر في رأيه
في محاضرة الشيخ بن محمود التي اتّسمت في نظر البشروش بالسطحية
وبالمقاربة الفجّة لإقتصار الشيخ فيها على التعميم خاصّة في حديثه عن مسألة
العقيدة في الإسلام بقوله : " هي الإيمان بالله ويملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر
وبالقدر خيره وشره ويكلّ الأمور الغيبية التي أخبر بها القرآن وبالحديث الشريف
كالجنة والنار والمحاسبة على الأعمال كعذاب القبر والصراف والميزان ... " ويرى
محمد البشروش أن من واجب الشيخ بن محمود أن يتحدث في محاضرة كهذه عن
الاجتهاد والإعتدال والمصالحة بين عمل الدنيا وعمل الآخرة وإقامة الحجّة والبرهان
والنظر في حال المسلمين وبمقدار عملهم بشريعتهم التي يتفاخرون بها بين الأمم
ويدافعون عنها دفاعا مستميتا. فالشيخ بن محمود في نظر البشروش قد أعمل هذه

المعطيات في محاضراته حتى لا يثير حفيظة شيوخ الانكماش والتعصب والتزمّت ومع ذلك فقد بارك محمد البشروش جرأة الشيخ بن محمود وحبّد تحديه لظاهرة الانكماش التي تتنافى ومقاصد الدين الإسلامي الحنيف ومفاهيم العقيدة الإسلامية .

وفي درجة موازية تبرز مواقف البشروش السياسية من وظيفة الطرق الصوفية ومن الزوايا وأولياتها ومريديها . ففي ما يتعلق بتوظيف المستعمر للواعز الديني واتّخاذ طية لترك الحبل عن الغارب قصد تنمية ظاهرة الجهل والمرض والفقر والانحراف والإجرام وانتشار البدع : " قالت هذا واعترتها نوبة عصبية فجعلت ترتعد فلما رأتها أمها على هذا الحال أسرع إلى الماء وجعلت ترش عليها حتّى إذا استفاقت قالت لزوجتي : " هي مريضة ولقد أصابها جنون في هذه الأيام وذهبنا بها البارحة إلى زاوية سيدي عبد القادر نلتمس بركة وشفاء . " عن قصة عزيزة البرية لمحمد البشروش .

" وكان القرويون يقولون : إنّ لسَيِّدِي البَنَاء منزلة سامية حتّى في نفوس الأطباء " الروامة " وأردف آخر : كلّ ذلك من عند سيدي بن عيسى نفعنا الله ببركته . وماهي إلا أيام قليلة حتّى سمعت الشيخ البَنَاء يقول لجمع من سرات البلد : إنّ الطبيب " فوكس " مسلم وقد سمى نفسه محمد عبد القَهَّار وجاء أمس وأصبح من تلاميذ سيدي بن عيسى .

وفي هذه الايام مات الشيخ البَنَاء فقامت قيامة شعرائنا فنظّموا المراثي الطويلة وناحوا ما شاء لهم التفتن في فنّ النّواح وهبت صحافتنا العربية تبكي عميد العيساوية وترثيه . وهنا أخرج ابراهيم جريدة تونسسية وجعل يقرأ ونحن نصغي إليه : رزء عظيم في هاته المدة الأخيرة اصيبت به البلاد بفقد شيخ من أجل رجالنا وأشرفهم منبتا وهو المبرور سيدي محمد البَنَاء عن سنّ عالية قضاه في التقوى ومواساة الفقراء كان عميد الطريقة العيساوية . عن قصة علي العياري .

وتواترت في كتابات البشروش النقدية والاصلاحية هذه الثورة العارمة على البدع الظلامية والاضلاع المزرية التي اكتسحت الإيالة التونسية بتزكيه من سلطات الحماية ورعاية منها لفئة ضالة تنتفع من ورائها بالولاء والخدمة والطاعة

فإذا هي ملاذ شعب ذاق ألوان العذاب وويلات الحرمان (قصة استعباد البنين)
وسلب الحرية وتمسك بأذيال شيوخ الطرق الصوفية والزوايا لسدّ مرارة الفراغ
القاتل والاستعانة على نسق الأوضاع السياسية والإجتماعية المهترئة التي تكبل
البلاد والعباد بالمهانة والظلم وسوء تصرّف الإدارة حسب عبارة صديق محمد
البشروش " أدقارفور " في مذكراته .

ألم تكن كتابات محمد البشروش النقدية والقصصية متكاملة مع المقولة
السياسية لرواد حركة الإصلاح ومنهم الطاهر الحداد ؟ ألم تكن أفكار البشروش
والشابي والطبوبي والحداد علامة مضيئة في الأدب التونسي الحديث ؟ ألم يكن
مصطفى خريف صادقا في شعره يوم قال في مرثية محمد البشروش :

" أيقظ النوم من سنة من خمول جاور العطب
يمنح الآداب مهجته لم يهب جهدا ولا نصبا
كان صدأها بما كسبت نفسه الكبرى وما كسبا
يا شباب الضاد خذ مثلا من أبي توفيق منتخبا
آية تسدي لنا عظة واعتبارا بالفا عجا "

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الهوامش :

- 1 - مذكرات " ادقارفور " القسم الثاني ترجمة الدكتور حافظ الجمالي دمشق
- 2 - كتاب الأستاذ عبد الحميد سلامة " محمد البشروش حياته وآثاره " عن الدار التونسية للنشر 1978
- 3 - مجلة المباحث الأعداد 6 - 7 - 8 - 9
- 4 - جريدة النهضة فيفري 1930
- 5 - كتابا الأستاذ المنجي الشملي : " في الثقافة التونسية " و " الأدب في ضوء التنظير والنقد " عن دار الغرب الإسلامي بيروت 1985
- 6 - مجلة الحياة الثقافية العدد 13 - 1981

أُمُوتُ عَشَمًا

شعر : الحبيب دربال

هَلْ أُمُوتُ عَلَى شَفَةِ امْرَأَةٍ لَمْ تَعِشْ أَعْنَفَ الْقُبُلَاتِ
لَيْلَهَا مَوْعِدٌ لِّلِانْتِحَارِ جَدِيدُ
وَعَلَى وَجْهِهَا تَلْتَقِي لُفْتَانُ :
- فَهِيَ خَجَلِي إِذَا التَّهَمَّتْهَا يَدَايُ
ثُمَّ حِينَ أَوَّجِهَا مَرَّةً ، مَرَّتَيْنِ ، ثَلَاثًا ...
تَمَزَّقُ فُسْتَانَهَا بِيَدَيْهَا
وَتَمْضِي إِلَيَّ



وَكَمْ تَفْقَدُ عِنْدَ عَزْدَتِهَا صَوْلَةَ الْكَلِمَاتِ
فَتَخِرُّ أَمَامِي مُعْتَقَةً كِبَرِيَّائِي ، جُنُونِي وَطِفْلًا
جَنَّتْ تَحْتَهُ رُكْبَتَانُ
- وَهِيَ إِذْ تَتَرَصَّدُهُمَا أُعْيِنُ السَّاهِرَيْنِ
وَيَسْعَى إِلَيْهَا فَتَى عَاشِقٌ نَاهَزَ عَقْدَةَ الرَّابِعِ
مُنْذُ يَوْمَيْنِ

تَفَرُّ كَمِثْلِ الْحَمَائِمِ تَيْهَا
عَلَى صَدْرِهَا يَشْرِبُ السُّؤَالَ لَذِيذًا كَوَاحِةَ عَطْرِ
وَتَبْقَى الْبِدَانُ مُعْلَقَتَيْنِ إِلَى أَنْ تَحِينِ
مَوَاعِيدُ أُخْرَى

وَيَقْضِي الْفَتَى يَوْمَهُ بَيْنَ مَوْجٍ عَتِيٍّ وَمَوْجٍ سَخِيٍّ ...
تُرَى هَلْ يَكُونُ لِهَذَا الْمَكَانِ جَوَابُ
وَطَعْمُ شَبِيٍّ ؟!

وَلِنَفْسِ السَّبَبِ
وَأَمَامَ خَلَائِقِ شَتَّى
وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْبَرِّي قَتَلَتْهُ سَتَقَتُهُ ثُمَّ
تَقْتُلُنِي

وَأَيُّ جَوَابٍ تُرَى يَسْتَهَيِّ ؟!
وَهُوَ يَعْلَمُ عِلْمَ الْيَقِينِ
أَنْ جَارَهُ شُعْبَانٌ قَدْ مَاتَ مُنْتَحِرًا ذَاتَ صَيْفٍ

رسالة إلى وطني

شعر : زمره دهوسي



سأحبك يا وطني كثيراً
وأفكر فيك وفي أمي
في الأرض الحبيلى وفي زمني
في البحر الساحر في اليم
سأغني غناء العشاق
وأخط رؤسوم الأمراء
سأظهر أرضك يا وطني
وسأبني صروحك بدمائي
سأعود إليك إذا حلت
مركبة الشوق بشطآنني
سأستقل عزيزاً في البال
فيميني كدأ الأوطان
وبلادي عشق أزلي
ورباه حقول الفيحاء
سأغير وجهة أيامك
وأبدد خوفك أنقاضاً
وأشرد كل الالام
وسأنثر فرقك أزهاراً
وظلالاً من نبع عطاك
سأزيل الشوك وأخفيه
وأحارب كل الأعداء
وأقرر أنني أهواك
سأسافر بين سواحك

وسأركب بحر محياك
سأواجه سطوة وافتك
وأمزق منه الأبيات !
لك كل الحب بأنسجتي
لك شمس الفجر إذا انبجست
لك ريح المسك بيمينك
لك غزل الواحة إذ رقصت
ونخيل اليد إذا اختلفت
في العيد الآتي بذكراك
لك نبض القلب بأوردي
لك همس الشوق للقياك
لك حرف الصمت بعلمته
أو شعير المدح بأقصاه
في عيذك ماذا أكتبك
إن كان الليل سيقظك
أو كان البحر سأسكب
وأنوب فيه اللكمات
سأنادي لطيفك أن يسكن
بالتل المزمر والشادي
وأنادي لوعيك أن يرتع
بالجبل الشامخ والوادي
والفصل الماطر ينهيه
ويطوف العالم يثبه
ويفوح كزمر الرياح
ويقول أحبك يا وطني
في الماضي وكل الأزمان

رائعة أنت

نصر : أميرة الروقي

[* إلى روح أمي الحبيبة وقد فارقتني أخيراً .]

يَا أُمِّي ...	رَائِعَةٌ أَنْتِ ...
كَمَا الْحَوْضُ الْمُتَوَسِّطِي ...	يَا أُمِّي
كَمَا النَّيْلُ الْفَرْعُونِي	أَرْوَعُ مِنْ حَقُولِ الْقَمَحِ ...
كَمَا دَجَلَةٌ	وَهِيَ تَتَلَا دُرّاً ...
وَالْفَرَاتِ .	تَحْتَ أَشْعَةِ شَمْسِ الظَّهِيرَةِ .
	* * *

كَمَا قَرطَاجَةَ ...	رَائِعَةٌ أَنْتِ ...
وَالْقُسْطَنْطُ	يَا أُمِّي
كَمَا حَدَاقِ بَابِلَ	كَمَا السَّحَرِ ..
كَمَا بِهَارَاتِ	فِي شَبَابِكَ ...
الْهِنْدِ ...	تَهَاوَى الْقَمَرِ ...
تَزْهَرُ التَّرْجِسُ	أَسِيرًا
	* * *

الذَّابِلُ	رَائِعَةٌ أَنْتِ ...
كَمَا التَّجْمُ الْفِيرُوزِي	يَا أُمِّي .
أُرْتَمَى ...	كَمَا الْعَشَقُ
فَوْقَ الْمَنَازِلِ ...	أَضْحَى لِلْعَشَاقِ
نُورًا	زُورِقًا ...
وَنَارًا	وِيْخْرًا .
وَشَطَايَا .	ثُمَّ بَدَأَ ...

في الفريق ...
جزيرة .
* * *

رائعة أنتِ ...
زنجي

ثم طوى ...
كل الصف

لأغيا ...
صخب المساء
وأشياء ...

بعضا فير السواحل
كلما حطت ...
هنا ...

فوق المدى
بعد مسافات
الإعياء

بعد مساحات
الأم
نادت ...

فتاه منها ...
النداء
رددت ...

كل حكايا القديم
فوق الشفاه
فوق الجباه ..

تسوح ...

ثم نعا ...
وقت الضحى
جدائل شغل ...
بالخاف العدم
* * *

رائعة أنتِ
يا أمي

حين معي

تكونين
حين عني ...

ترحلين .
حين مني

تؤدين
حين منك ...

أرتوي ...
دمعا

ضحكات
وجعا

أهات
حين إليك ...

أحزم متاعبي ..
ألم متاعبي ..

أرتق شراعي ...
وأبدأ ...

مع الدنيا صراعي
* * *

* * *

يَا أُمِّي
فِي ذَاكِرَةِ الْمَكَانِ
تُصَلِّينَ
فِي مَخِيلَةِ الزَّمَانِ
بَجَعَاتِ ...
تُغَازِلُ الْبَحِيرَاتِ ...
لَمْ تُسَاقِ الْأَيْلَ
وَفِي تَفْسِي ...
حُورِيَّاتِ
تَتَجَمَّلُ
فَتُجَمَّلُ
فَتُجَمَّلُ
مُحِبَّاتِ السَّيَاءِ
لَمْ تَتَرَدَّجِ اللَّيْلَ
* * *

رَائِعَةٌ أَنْتِ
يَا أُمِّي
مُنْذُ بَدْءِ الْخَلِيقَةِ
تَحْتَرِّعِينَ
الْحُبِّ
وَالنُّسَمَاتِ الرَّقِيقَةِ
تَصْنَعِينَ
الْقَلْبَ ...
مِنْ خُضْرَةٍ
وَمَاءِ ..

رَائِعَةٌ أَنْتِ
ثُمَّ تَبْسِمُ
تَعْلُو
ثُمَّ تَرْتَطِمُ
بِوَجْهِ الْبَقَاءِ ...
تَسْتَقِظِينَ
فِي قِطَارَاتِ الْعُيُونِ
تُسَافِرِينَ
فِي مَطَارَاتِ الْجُنُونِ
تَصِيرِينَ ...
كُلَّ الْيَقِينِ
فَوْقَ صَبَاحَاتِ السَّنِينَ
تُحْلِفِينَ ...
خَلُوداً ...
لَا يُقَرُّ بِالْمَنُونِ
* * *

رَائِعَةٌ أَنْتِ
يَا أُمِّي
كَالطُّفُولَةِ
كُشِّدَرَاتِ الْفَجْرِ
الْجَمِيلَةِ ..
وَهِيَ تَقْبَلُ
رُؤُوسَ الْهَضَابِ
وَفِي تَلَوْنِ ...
أَشْجَارِ الْغَابِ
وَهِيَ تَتَغَتَّقُ

مِنْ غُلَّالَاتٍ
الْغُلَّالِيسِ الثَّقِيلَةِ
وَهِيَ تُصْبِرُ ...
أَرَانِبُ تَرْكُضُ
خَلْفَ الْفَرَاشَاتِ ،
وَهِيَ تُصْبِحُ
مُشَاعِرَ عَمِيقَةٍ
وَمِنْ عَطُورِ عَتِيقَةٍ
تَنْقُشِينَ
الصُّبُ ...

فَوْقَ دَفَاتِيرِي
وَتَأْجَجِينَ
فِي ضُلُوعِ الْأَزَلِ
وَتُضْحِكِينَ ...
فِي سَكُوتِ الزَّيْفِ
صَوْتٌ
كُلَّ الْحَقِيقَةِ
* * *

رَأْنَعَةٌ أَنْتِ
يَا أُمِّي
وَسَتَّظَلِّينَ ...
بَلَا انْتِهَاءٍ ...
رُوعَةٍ ...
أَنْفَا
وَكُبْرِيَاءَ

من امرأة زادها الوفاء

شعر : علياء بن محمد

[* إلى كل من عشق البساطة]

سجّل لديك يا سيدي :

أفقه جيدا نكهة القهوة

وأطيب أنواع الشوكولاتة

" والكاكو "

أعرف أنواع المشروبات

وأصناف المرطبات

لا أجهل أيضا أماكن السهرات

وأحلى أنواع الجلسات

أعرف أفخر المنزل
<http://Archivebeta.Sakhril.net>

والفنادق

أسمع عن كل رقصة

عن أجود الأكلات

البحرية .. والبرية .. الحضرية ..

أعرف " البروتوكولات " والديبلوماسيات

والأمسيات والسهرات

وأحدث التسريحات

وأيتها تليق هنا أو هناك

وإنني يا سيدي

لأعقل كل اللغات



ولست غافلة عن أنواع السياسات
فنسجلُ إذن :

أن ألفَ آدمَ وحواء
يمارسون هناك كل يوم
سياسة الكذب والهراء !
على طاولات الاجتماعات
* * *

سجلُ :
إذْ هم يشربون الوعود
يترشفون الوعود
يشعلون بالآوهام
* * *

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

سجلُ :
أنني لا أجيد سياسة الهراء
أنني امرأة
زادها رحابة الفؤاد
صمت يغني عن كلام
وابتسامة نقية عذراء
ورائحة البنِّ والتين والزيتون
تحت سقف
الحب سقف
وكفى !!!

في الوقت متسع للبكاء

شعر : مختار المومني

إلى روح قاحل الخطو الشاعر الراحل محمد
البنقلوطي فسي ذكره الأولي

لا .. لم يمت

فقد زارني البارحة

وناولني آخر زهرة ثلج

وتفاحة من لهب

لم يمت بعد

فقد زارني البارحة

وفي جيبه

حفنة من رماد الفصول

ARCHIVE
وبعض التعب
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وقال :

- دعني أغني

فالموت أسرع خطوة من أن يقول : اتند

والعمر أسرع خطوة من أن نقول اقترب

ساء لني عن الشعر من بعده

فقلت

- عصافير شعرنا فرت بعيدا ..

وراء الشهب

فيا قاحل الخطو عد

<< وعانق لظى دهشي >>

وأجج رؤاك في احرفي

والغضب
فأنت الذي لا يغيب
ونحن اليتامى
نمد الأصابع للشرفات البعيدة
وليس لنا غير شفق ينطفئ
وهذا التشرّد تحت السماء الكثيرة
بين المقامي
فلا يورق زهر
ولا يدفق نهر
ولا يزهو حبر
فيا قاحل الخطو لا ترتحل عن دمي
وكن صوت حبري فوق بياض الورق
فيا بؤس عمري
لهذي القصائد طعم الملوحة
طعم العرق
وأنت الذي لا يغيب
وأنت الذي يزرع في جذبنا « آخر زهرة تلج »
فتورق « نورة الموت » بين الحريق
وبين الحريق
وتمنح أسرارها للذي يعشق السفر المستحيل
* * *

لا .. لم يمّت
فقد زارني البارحة
وناولني آخر زهرة تلج
وقال
- « كن زهرة » وانتش بالغناء

فقلت

- إن زهرة كنت

هل تراني أجيد الغناء

« وكلّ المسافات خانت رؤاي »

وهذا خليجي تفر النوارس منه

« ولا أزرُق في مداه »

وهذا الربيع لا زهر فيه

ولا أخضر في مداه

هل تراني أجيد الغناء

وقد شردتني الفضاءات

ضيعتني القصيدة

ونوارة الموت تزهر في القلب

غير أنني لست وحيدا

فمعي موسم حبك

غير أنني لست وحيدا

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

فمعي زهرة تلجك

والوحشة المذهلة

فيا قاحل الخطو

فموسم الحب خصب

وفي الوقت متسع للبكاء .



اقتفي أثري .. (1)

تصوّر : عادل مهيّزي

أغلقي عني همومي	اقتفي - في الفجر همسا - أثري
أغلقي أبواب أحزاني العنيدة	قبل الرحيل
لست أهوى نبش قبري	أقطفي تفاحة الجسم الذي ينهار
لست أهوى	فوق الورقة
شئق آياتي الجديدة	كلّ صخر يسأل التلّ
كلّ حرف يسأل الشعر	لماذا تسكر النار بدمعي
لماذا كلّما طوّقت حزنا	ثمّ ترتدّ قتيله
يستضيف القلب أحزاننا بعيدة	كلّ موج يسأل البحر
ولماذا يصبح الحبرُ	لماذا أوّل الموتى يكون الشعراء
خريقا لفصولي	ولماذا فوق جلدي
كلّ نجم يسأل العمر	ينتشي ثار القبيلة
لماذا يهتدي الموت سريعا	اقتفي - في الفجر همسا - أثري
للطفولة	قبل الرحيل
ولماذا لا يكونُ	أقطفي أنشودة القلب الذي
المرسوم رسعت العيون	ينداح تحت الشجرة وجهك
سورة أولى	الليل تابوت لمن لا يزتدي الحلم
وضوءا للقناديل الحزينة	ويمضي خلف طيفه
اقتفي - في الفجر همسا - أثري	ورمادي ليته يغدو رغيفا
قبل الرحيل	لصبيّ نام جوعا
ستغيبُ الروح عني ألف عام	دون أن يُشهر سيفه
بين ألياف النخيل	أغلقي عني همومي

(1) مقاطع من فصول في سرائق الموت أو "أمس منذ .. ألف عام"

اللوحة

شعر : خالد رداوي

["رقة الورد ، رقة السيف المرفف ، إنها المرأة " لورد بايرون]

(1)

لوجه حبيبتني وجهان ...

وجهٌ يسبحُ للقمر

ووجه مشرد في الزحام ..

وأنا ممزق في التشايبه ...

أبحثُ عن مفرداتٍ

تخلصني من وجه بعيد

مثقل بالآلام ...

أبحث عن ريشة

تجيؤني في المنام ...

تحمل ألوان حَيَاتِي

والطروءُ نازحات .. للأنام

لوحتي كوجه حبيبتني

صامتة ...

... يستدرجها الله حيناً ..

.. وحيناً تستدرجُ الله

للوحة بلا عنوان ..

(2)

لوجه حبيبتني وجهان ..

وجه متفرغٌ للفرح

ووجه في قفص الأحزان ...

.. وجه يلعبُ القطط

والعصافير ..

ووجه هجرته البلابل والريحان ...

فلا الخمرُ ينادمني ..

ولا النهْدُ يجالسني ..

فأنسي المخضِبُ بألوانِ نيسان ...

(3)

لوجه حبييتي وجهان ..

وجه يغتسل بالتوراة

... وجه يقدر القرآن ..

فيجعلُ مني إنجيلاً

ومن شعري ... بركان ..

فأنا كالمسيح في أهلي

ولفتني كشيخ المكان ...

وصفائي البهي

يهدمُ المراسم القديمة

يهدم الأوثان ...

وأوتار شعري

غاية بلا ضلال

ونعيُّ بلا أحزان ...

(4)

لوجه حبييتي وجهان

... وجه يحنو على الريشة

ووجه يغازل الألوان

لتكون اللوحة ..

وأكون الفنان

رُفعت جنان !!

بقلم : جنات إسماعيل

انتظرتك حتى عانق الدمع كحلي فأهلك صفائي ... ناديت أصفياي .. أن تجرّعوا معي مرّ كأسِي فما حضروا ولا حضرت .
قلقة أنا من أجلي ... أرمي القلاع فيهرب البحر إلى السماء وأبقى بلا وجه .. بلا ظل ويموت سمك المرجان في حلقي .

كنت سائيمك على صدري وأقول لك .. أنني كنت أمّا لكلّ الرجال الذين عرفت
وأني أنشدني فيك لتمتص أمومتي السابقة لأوانها وتردّ لي طفولتي .
أذكر أنني ذات يوم كنت طفلة وذاك اليوم تحلقت فيه الجماعة تكلمت عن العصيان .. قالت :

— سكنا الصمت ضجيجا وما رأينا في الفسق فتيلًا ... فهل كان حمار جحا أذكى ؟
أم كان شهريار غيبًا ؟
... تجلدت وحزمت أمتعتها .

قالت الجماعة : — هل أتاكم خير طفلة لا تعرف المشي وركبت الطريق وحيدة .
... خرجت تقرع بخطواتها صدر الصباح ... كان المسار طويلا كالوقت صعبا وما وهنت .. تفرّست الوجوه ... طفل في المقعد الخلفي يخربش ظهرها فلا عبته .
قالت الجماعة : — اشتريت قلما وأبوها لا يعلم .. ضاجعته أمدا وما استفاق أحد لوقع الخطيئة وياكرا غادرت وما التفتت لغياب أبيها .

... كتبت بأصابعها العارقة على البلور المغبر الذي يحجب عنها صفاء الرؤيا ..
خطوطا ... بل حروفا ... إنها طلاس معها أحست عنف نبض تفجّر .

قالت الجماعة : — كانت هادئة .. مطيعة .. تاتمر لأمرنا وتقف لنهينا ... بغتة أصابها كفر لم نعرف سببه .. استخفت بالجماعة .. تمردت ونحن نكذب ما نرى وننسب لوعكة عارضة حتى تعلق علينا عصيانها ويات النار التي تحرقنا ونقبض

عليها في كمد حتى لا يفتضح أمرنا بين العشيرة ويقال عنا .. طفلة أفسدت زمام
الجماعة وانفرطت متفردة .. متمردة .

أفرغتني حين أتيت إليّ

قلت لك : - اشترى لي " ديبب "

ضحكت كثيرا ولم تفهم أنّ طفلتي أنّ طفلتي ضاعت .

تفتحت يوما على وجه صغير يسقط مني .. يتخبل خطوه في سيل دمه الرقيق
ويهرب .. وأتعبه بصمت الدهشة حين ميزته إهتز عرش خريفي فوقفت على خراب
سؤالي وقد إحتاج قولي .

كانت جنان تهرب ولا تلتفت .. تتكور على شيء ما وتهطع .. تلوت قرأنا يطمئنني ..
جنان تدرك عصفي ورعدي .. ستولي وجهها شطر صدري .

انتظرت هبة زمن كانت الدهر ثقلا وطولا حتى أملت بي المتناوحة قطعت بعصيانها
.. لويت ذراعها ونقخت ويلا :

- لم تهربين ؟

.. أين ؟

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

.. وما الذي تتكورين عليه؟؟

اصطدمت نظراتها بزجاج وجهي فتشقق غضبي كالارض العطشى تركت
ذراعها لتتكسر أظافري التي ظلت شتاء العمر أرييها وأعتني بها . خففت
البصر وأعلنت البصيرة .. قالت :

- لقد كبرت .. صار لك رجل ..

أحسست أنها ترجمني بأفحش القول .. بالخيانة .. صغرت نفسي ونزّ دم من تحت
أظافري لكن قلبي ركع لها يناديها .. لأنني مغفّودة .

.. لكن جنان أفلت .. لمن تؤثثين الذاكرة ؟؟

ردّ لي طفلتي ...

تمردى ..

قلمي ..

وسفري .

أحتمي بالجدار ولا أجدك بل أجد لك بقايا قبلات ملتهبة ميعتني فأمتص شفتي
وأخاف جارنا المؤذن الذي يهلكني بنظراته كلما صادفني في عنق الزقاق فالتحف
كفري وأنزلق من بين أصابع إيمانه ليلتلعني بطن الحي القدر .

كان أذانه يياغتك والأنثى وأنتما منغمسان يتمازج الريق بالريق والشهوة بالرغبة
.. تنفصلان .. تحس أن عقد الخرز انفرط تمسح شفتيها وتمرر أصابعها المرتعشة
على الجيد الأنيق وتستغفر . تقول أفأ ثم تشعل فيها سيجارة أخرى .. تطيح
بعرش نهديها وتنسى أن تستغفر .

صَارَ وجه المؤذن شرنقة يصلب عليها جسدي وروحي المترعة بالصهيل وأذانه
حبلا يخنقني . أتحسس عنقي .. تدقني خرزات العقد دقا شنيعا كشوك أخضر
مليء بالحدق علي .. تضيق دائرة الحبل تضيق .. تعصر عروقي حتى تفتت حبات
المرجان لتنتفتح على عنقي سيول من الاحمرار الشفاف تضج منها رائحة البحر و
الذريع .

أجلت صراعي وأخذتني مع طبقاتها المألحة الندية نحو زرقة الاتساع .

دعاني بعيون طفت .. تجبرت حتى استقرت حالة :
- اغسلي جروحك في لحي واكويها بالشمس تترنين ...
استغفرت وما برئت ... لكن الحصار فك عني فتذكرت أن لا عقد لي أصلا فقد كنت
ألبسته جنان قبل أفولها بيومين .

- أجنان هي الحبل .. والجرح .. والدم المسفرك ؟

في كل الحالات .

- هذا هذا الرجل الذي تنكرين سيكون لك أبا .. يدللك ويشتري لك الحلوى وثياب
العيد .

ومددت يدي أحتضنها وأردها إلي فاجتمعت بالفراغ . كان دمعها يقطر دما
فينطبع على الأرض في أشكال مشوشة .. يد منها تمرقني .. ترميني أشلاء خلفها
عين ... نقطة

قلب .. مثلث

يد .. فاصل

أحسُ بذبحها في كامل جسدي .. يقتلني وجعي وأناديها .
انحنّت منها التفاتة أخيرة وأظهرت لي ما كانت تخفي .. أحرقتني .. جنان تهرب
وتهرّب معها قلبي !!
.. أه عرائي وفقرتي
زلزلتني الزلزلة .. سقطت نجمتان .. بكّت سماءي .. أفراغها من الضوء .. أم
لفراغي ؟؟

شبهت الأنثى فرحا وتمددت فيّ لتشغل كل أماكن جسدي . جثنتي ليلتها
محتفلا ولعبت والأنثى على نخب سقوطي . كنت أنزف وريح متذبذبة تلهو بي وهذه
الأنثى تتأمر على بقية طوقسي وتدنيني لك . تحب حلوى شفتيك التي تهديها لها
سرقة حين تغلق دكاكين الحلوى أبوابها ويعود بانع الشطائر من جولاته اليومية .
كانت لجنان عساكر حلوى تشتريها من دكان الحي كلما باعت جدتي المرقوم
في السوق الأسبوعية .

يا لتلك العساكر الملونة كم كنت تتلهفين عليها .. تفرين بها حتى أزقة القرية
الخلفية كي لا يشارك فيها الصغار .
.. أم قبلا لك المزروعة على جدي هي حبات المرجان التي ذبحتني ؟؟

جئت تؤنسني فاستوطننتي وإحتلت أشياء كثيرة في .. أنت كالأستعمار !!
لبست الأنثى طربوش الصادق باي وأبرمت معك المعاهدة وبرتقال الوطن القبلي ..
زيتون الساحل ونخيل الجنوب كله كان عيونا شاهدة ... شهيدة كنت بريار تمضي
وتحلم بالتوسع في جسدي .

أمهلتكما سماعة مني فشاع الفساد فيّ واختلت موازيني . عالجت بعض
شؤوني التي ارتدت عن عصيان جسدي وانصاعت لي طائفة .. وجدنتي بها قوّة
فالفريق يرى القشة قاربا . هفت نفسي للنضال فحدثنني بمجدي التليد ونفخت في
عزائمي حتى أركبتني صهوة فرس جموح استلكت سيف المصلح خير الدين
وخرجت أطلب رأسيكما .

طارت الفرس تسابق الشمس .. تلاحق جنان .
.. فتيل روحي أنت يا جنان .. خرب الجسد من بعدك وتهشمت الكلمات على جفاف

روحي .. أظل طول الليل أثقب أصابعي وأكتب بمائها بعد أن هربت قلبي معك ..
أرتق الجمل وألصق الحروف ولا يستقيم المعنى فأختنق بشرك المعاناة كالزقوم يقف
في حلقي .. وأدعوك :

– رحماك جنان .. إن الله يحب الراحمين .

وأستغفر كثيرا وأتبرأ من كفر أنثائي ولا تهلين ؟!!

في الصباح تستريب أُمي من دمي تحتفل به الأغصية .. المفروشات .. الستائر
وملابسي الداخلية . ترزم أُمي بصوت مكتوم وتمسك في الليلة القادمة يحكم أبي
إغلاق الباب .

أصبحت محل شبهة وهذا يهتك طهري .. فردي لي قلبي جنان قبل أن يؤذن
برجمي .

كنت معك أستقبل من الموت فإذا بك تسقطيني في جحيمة وترفلين في الجنة .

– كيف تطيقين السفر بنوني ؟

.. أتذكرين جنان سفرنا الأول بعد أن بادت عصيهم ولم تبد عزائنا . ركبنا الفعل
كأحلى فاعلين في جملة معقدة وامتنطينا القطار لأول مرة . كان موسم جني
الزيتون مقترنا عندنا برؤية القطار .. يهزنا صغيره من بعيدا فتساقط حبات الزيتون
السوداء من أكفنا ونهب للقائه مسكونين بالدهشة فنحي سائقه ونعد عرياته الكثيرة
حتى نغيا ونشتهي ركوبه .. لكنه يمضي كالحلم الجميل ولا يترك بيننا إلا دخانه .

.. جنان . أتذكرين ارتجافنا .. دموعنا عند حرارة اللقاء بوجوه سكنتنا حتى
الانتماء .. والجائزة الأولى .. ؟

.. أتخونين كل هذا المجد وترحلين وتخليينني سجيئة أتخط في أغلقتي المهترئة
وكانون الأول هذا العام فاحش برده .

فمن أندر وأنت الجمرة المقدسة جنان ؟؟

كنت تهاجميني وتغارين وكنت أحنو عليك ... ألف رأسك ... أذنك ورقبتك بشال
قطني . أخاف عليك حتى الجنون بيد أنك أكلت الثمرة وقطعت اليد الممتدة .

لا قلم ..

لا تمرّد ..

لا سفر ...

ولا أنت جنان !!

كأنني أحس خبيب الفرس على صدري فتحتل حوافرها بين أضلعي ترفس قلبي .
أراك تميط شفيتيك عن الحلمة العسلية التي تنزّ دما .. تتغل ماك ومائي على وجه
وجعي ثم تنتبذ ركن حزني وتقع فيه تدخن بألم لم أجذك عليه أبدا .
قلت : - من هداك إلى ضلاله ؟

قلت : - الهادي ولد العيفة ..

.. كانوا يجبرونني يوميا على التأخر عن المدرسة وركوب طريق المرعى الأفعواني
لتأمين غداء راعي غنمنا ، حين أبلغه أقذفه سبّا قبيحا حتّى آخر عرق فيه فيضحك
ويكافئني بنفس من لفافته وليذهب الشبهة عنه وعني يمسك لي إحدى العنزات
فأرضعها كجدي صغير ويوصيني بمضغ أوراق الزيزفون قبل دخولي القرية .
تركت المدرسة وأدمت طريق المرعى .. صار النفس أنفاسا ، قالهادي ولد العيفة
شيطان مفر .. لا يهادن حتّى في حالات نفاذ السجائر يكون عنده احتياطي من
أوراق الجرائد يرمها فندخنها بشبهة ونرقص نشوة وأبي يتفخ صدره يقول :
- ابني أصبح يحب المرعى ويعتني بالقطيع .. همتك يا وادي لتكون فلاحا عظيما
كأبيك .

تفرقني وتفرقك في سجن دخان كثيف يمطرني بالإختناق فأطيح بلفافتك ..
أسحقها بقدمي .

تجنّ .. تعقد حاجبيك وتتلاّلا تحت جفونك قطرات كأنّها الدمع

ذهلت : - أأتكون من طينتي وطينة جنان ؟؟

... أتحبّ مثلك الله والوطن ؟

... بائعة الحمص ودليلة الجبل ؟

وتطعم العصافير في كفّك .. وتموت وتحيا على تراتيل فيروز ..

وتمشي تحت المطر بلا ممعطف .. ولا مطرية .. بلا حجب .. مشرّعا صدرك لماء
ينابر يغسلك ..

.. أتشهد أنك لم تنس أطفال الحجارة كما نسوهم وتهتك تقارير اليونساف وتبكي

مع أطفال سرايفو .. فأتا أكره الرجال الذين لا يكون طهرا وتواصلا .
قلت : جئت أسكنك يسرا فقتلتني عسرا .. سحقت أنفاسي بكلّ عنجهية .. أنا
الذي ظننت أنك وردة بلا شوك .

قلت : - ولكنك قطفت جنان .. فلتمت كل الغابات والواحات بعدها .
قلت : - منذ وعيت وهم يضربون بين كتفي مطرقة المحكمة .. أبي كان القاضي ..
أمي أبدا غائبة ورجلا البيت اللذان كانا سندي ضاعا . هاشمي أهلكه تيار النار
وأمي تصبّ على جسده الملتهب الماء .. تطفئه . ويوسف مزقته دابه حديدية وأبي
يجمع شتات أعضائه .. يلصقها ببعض كما كان يفعل بدمانا الطيفية حين
تتكسر .

.. وما أنت تدخلينني قفص الإتهام .. فبمن ألوذ ؟؟
استفاق نبضي على أنفاس جنان تقترب مني .. هزرت جذع الحزن فينا فملكتنا
تجمع شفيتها الوردتين .. تقول :

- هل جلب لي أبي من قريتي القديمة عساكر الحلوى التي أحبها ؟
ألبسها منامتها المطوية منذ أفولها وأناولها كأس الحليب الذي أسخنه كل ليلة ولا
تعود .. أحضنها :

<http://Archivebeta.Sakhril.com>
- صغيرتي .. أولك الفيث حزن .. غدا يأتيك بالحلوى .
أنيمها في وأتيك عارية كانبثاقنا الأولك تزهو في روائح الجنان .. تنضح ربيعا .
ما إن تجتمع بي حتّى تنتفض كالسعود .. تسقط عنك رداء حزنك .. تعصف :
- إمّا أن تكوني امرأة ..
.. أو تكوني طفلة ..

.. هذا الإزدواج فيك يضاعف شتاتي .. يرهقني .
لذت هاربا .. تقفل أزرارك وتلتفت .

استغفرت حتّى اغتسلت ثمّ سترت صدقني الفادح الذي يظل أبدا جرمي الأولك
وقمت أستجلي جنان . بعثرت الفراش .. شققت صدري ومزقت أضلعي .. سألت
بائع الحلوى وزحفت حتّى آخر أزقة القرية الخلفية . أظلمت طقوسي :
- أنكون جنان ضاعت من جديد ؟؟

.. أنا التي جئتُها أعلن لها وحدها انتمائي .

كبي الفرس ..

انكسر السيف كما انكسرت أظافري ..

وعدت تجتمع بالأنثى بفحولة عريّة وتستغفر كثيرا .

انكبيت أعدّ خساراتي وأذروني وجه الرّيح رماد دمية أحرقوها إذ بي أرى طيفا

نورانياً يرفع خفاقا وأرى أبواب السماوات السبع تشرع له .. جئت الحقّه فأوصدت

السماوات دوني .

قلت :- كوني قريانا لربي ..

.. وأبطلت أن أستغفر .



ARCHIVE

<http://www.KitaboSunnat.com>



ملف المصدد

ركن جديد نحدثه في الإتحاف ونسئله بمصاحبة نماذج من الكتابة الأدبية في العراق وستحرص على أن يتواصل مع الإبداع الأدبي في كل أقطارنا العربية مشرقاً ومغرباً

كلمات أولى :

هذا الملف .. هذه الأسماء

بقلم : عبد الرحمان مجيد الربيعي

- 1 -

هي مبادرة تستحق الوقوف عندها بمباهاة والكبار هذه التي أقدمت عليها " الإتحاف " بتقديم هذا الملف الذي يضم نماذج من الكتابة العربية في العراق هذه الأيام ، وإن كان هذا الملف مجرد بداية الملفات أخرى عن أدبنا العربي في أقطار أخرى فإن أهميته تكبر والجهد يستحق الدعم من كل الذين بهمهم أمر أدبنا العربي وعلو شأنه .

هذه الكتابات التي ضمها الملف هي مجرد عينات مما يكتب اليوم هناك ، بعضها مهم والآخر أقل أهمية لكن جلها مكتوب بحرارة الجرح واشتعال حرائق الداخل والخارج ، هي شهادات وليست نصوصاً أدبية فقط .

وأعترف لكم بأنني وعند قراءتي لبعض النصوص أحسست بأنني أمام كتابة أخرى ، مختلفة ، تقامر ، تتمرد ، لكنها لا تغادر مكن الجرح ، بل هي بعض أنينه

- 2 -

أسماء من أجيال مختلفة .. عبد الستار ناصر أحد رموز جيل الستينات إلى ميسلون هادي التي نشرت وترجمت أكثر من مجموعة وساهمت في تحرير عديد الصفحات الثقافية منذ أوائل الثمانينات إلى فيصل إبراهيم كاظم الذي أصدر هو وزميله سعدي الزبيدي بياناً قصصياً قبل عامين حول طريقتهما في الكتابة سميها

بيان (مدى) ، إلى حمدي مخلف الحديثي الذي سرقه الأسر من أسرته قرابة الثمانية أعوام في سجون إيران وهو الفتى النحيل الهادئ الذي لا أظنه قد فكر يوماً بأن سيعيش محنة بمثل هذا الحجم ، وعندما يعود يبدأ بتكوين ما رآه وما مرّ به في رواية وعدد من القصص القصيرة التي ترفض الحرب وتبشر بمجد الإنسان

وأيضاً علي عبد النبي الزبيدي الذي تحفل نصوصه سواء القصصية منها أو الشعرية بالرموز والدلالات تنهضها لغة أكثر من رائعة ، إن نصوصه تعيدنا إلى أسئلة الستينات وكيفية تحويل ما يجري إلى نصوص تنطق بكبير المعاني .

إلى أسماء أخرى بعضها جديد علي ، لم أقرأه من قبل - وخاصة الشعرية منها - وصولاً إلى نص الأب يوسف سعيد الذي يمكن احتسابه على جيل الستينات ورغم مسوحيه فإن الشعر كان صلاته حيث أصدر عدة دواوين وساهم في تجديد القصيدة العربية - قصيدة النثر تحديداً - بنصوصه المتجاوزة . ورغم إقامته منذ سنوات ضمن رسالته الروحية في السويد فإن حماسه للشعر متواصل وقصيدته هذه هي آخر ما كتب .

<http://Archive3-Sakhrit.com>

قد يقول قائل إن هذا الملف من الممكن أن يضم أسماء أخرى وأجيب نيابة عن الأخوة أسرة "الاتحاف" : نعم .

ولكن المهم أن الأسماء مثلت كل الأجيال حسب قدرات المجلة ومساحتها وبذا نقطع الدرب أمام أي تقول بشأن هذا الملف كما حصل مع مجلة "الآداب" اللبنانية مثلاً التي أصدرت عدداً خاصاً عن الأدب العراقي ومع هذا هاجم العدد من لم تنشر له فيه نصوص ولو أن المجلة نشرت لكل الأسماء لاحتاجت إلى ألفي صفحة على الأقل ، بعيداً عن كل "أنانية" وضيق صدر نقول : إن هذا الملف قدم صورة كما أن وراءه نوايا طيبة هي اعلان محبة في زمن للكلمة معناها الواسع والمؤثر والمحتضن وهذا وحده كاف .

تحية لـ "الاتحاف" ونأمل لها دوام التواصل في أداء دورها النبيل .

« ابتهاجات السيد الخراب »

شعر : علي عبد الحسين حمادي

العراق : الناصرية

تلاشت الأضداد

تمايلت الأرصفة

جالس يحدث اليوم

بفشل غزواته

سقوط قياصره

امتدّ على رصيف الحانات

امزق أشلائي

روابي التي خضبت

أمي التي سنمت ترقيع قميصي

لحيّتي منديل عرس

أيها الخراب

روغ فتحتها تنفتح اللعبة

ويخرج آدم المدفون

ويصرخ هلمّو هلمّو

نشعل ملابسنا

نصبغها رمادياً

عصا ملونه



تطرق رأسي
حملوني أصدقاء « حزقيال »
أحسست بطيراني
على كوكب يدعى وطني
من أنتم ؟

أنا الجنوب أنا الناصرية

خرجت إلى الشارع
أحدثهم بغزواتي
فهرع الأطفال

يضربون بأوراقي التي تحولت إلى حجارة
وأمي تشدني بخيط أخضر
ويصرخون مجنون مجنون
سيدي الخراب روع
واطلب أوراقا جديدة .

تراويل صلاة الجرح

شعر : مسلم عباس الطمان

هذا نجم

أو نغم في الليل ينادي

من يرجع صوتا مجنونا

كادت أسوار العمر تغطيه !!

ملتحفا أوجاع سنين تبكي

يدخل موجة بحر غبشي

هذا التسأل

أو الترحال الفاتح بوابات ، المجهول

هذا النغم المصلوب على حنجرة ، الزمن ، المقتول

يتحجر غيضا

يعبر أرضا تمتد أياديها صوب سماء غرقى

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

بالغيم الفضّي

تترسب في قاع الصمت ، فراشات الصوت ،

المتخندق في الريح

يا ليل الفقراء العظماء غنّ

فالجرح صلاة لا توقفها كلّ شياطين الإغراء

في محراب الذكرى

كان لنا همس يتعالى فوق حبال

تعبر دهليز الأمس ، المعتم

تصبح جسرا يعبر صوب تلال طفولتنا

ننشد فيها لحن براعتنا الأولى

والجوقة أفواه الريح

تحمل شدة أغانيها نغما نغما

ندنو من قافلة الطهر ،
كي تقطع أذيال العهد ،
هذا سيف
ضيف جراحات ، الماضي
يتحدث للشمس عن الأسس المعتم
تلك جراح حبلى بجراح حبلى
زمن يبلى
كثياب القتلى
من يفضي للطرق ، المسكونة بالضوء ؟
أثار ظلام مرتبك الخطوات ،
أجفان الجمر تنوء بحمل ، الحلم المثقل ، بالحلم
فاكهة العشب ، صلاة الدرب ، صراخ الخطب ،
ثغاء الحملان ، وصوت الراعي وسرّ مبهم
أصوات تتداخل لكن لا تدري
من منّا لا يتكلم
هذا التصخاب
حرب تقطع سرّ اللامعنى
سيل الخيل ، الممتدّ على جذب ، الحرب ،
إيقاع سنابكها السائر صوب الشمس ،
يقرأ وجه الأبد
هذا جرح
أو رمح للكلمة ، يوقظ جمر الأوجاع
قطار الذكرى يمضي بقوافل صمت يدنو
من ليل الصخب
الدرب يغني أغنية الأمس ، المكوم
اليوم يضاجع عرسا تحفره البهجة في أرض العقم

يولد طفل تقصده الريح وتورق في عينيه
مسافات الجذب الجامح
يطويها نهر خطى خضراء
يصبح قافلة للموج الطافح
تمضي في صحراء الغربة ليلا
تتسلق أسوار الصمت المهزوم
أصوات صغار كانوا يمضون معا
صوب الصبر الملقى خلف صخور الصبر
كي يحفروا صبورا آخر في قلب صخور الصبر
نبع سحريّ الدفق ، يكون لنا مأوى
فذناب الظمأ القاسي ما زالت تعوي
كشفاه جراح تنتظر تقبيل ضماد
لم يأت ، مثل الفيم
هذا نجم
أو نغم في الليل ، ينادي
كانت أذان الكون ، تصيح السمع له
فضاءات الروح ، تغني
هذا نجم
أو نغم في الليل ينادي ..!



ونسري في إتجاه البرد

شعر : عباس السام

>> إلى من زرع في ذاتي بذرة التجلي ، إلى - عبد الأمير الوليد -
أهدي هذه النبتة >>

ونسري في إتجاه البرد

والريح

تسوط الوجه والكفين

أسيافا من الثلج

ويا للجوع !

لو أمي

براهما الجوع والبرد

لالتهمت بنيتها ، منهم قد تشعل النيران

والدرب

طويل ، مبهم ، عدم ،

إلى الأعماق يبلعنا ... ومات الليل ، والحرب

تكشر نابها المغروز في صدري ،

في ظهري

يجوع البرد ...

يا أضلاعنا ثوري ...

ولكن !

فيمة النيران تحرقنا ،

وتشوينا ،

ولا تحميك - يا مسكين - من برد !



- « أه ، هدني الإرهاق يا أمي ،

يلوك الجوع أمعاني ،

أموت الآن يا أمي - كسدرتنا -

ولا ماء

تجف الأرض ، والديدان تقضمني ،

يبيس القصن - يا أمي -

أريد الموت »

ونسري في إتجاه البرد ...

- « أه ، تبث الأيأم ...

ملهاة مصائرنا ،

ثلاثتنا نموت الآن ...

والأيأم تتلو بعضها بعضا ...

ولا زال الهوى عذري - موئموا - ألا زال الهوى عذري ؟ !

ونسري في إتجاه البرد ...

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- « ما ذنبي !

هدرت العمر خلف الوهم أنسرب ،

بانث هفوتي ، إنني

أبول الآن تصفيق الطواحين ،

تعرت سطوة الإنعان ،

ثلاثة في إتجاه البرد ...

كنّا ...

- قال أصغرنا : « أه هدني الإرهاق ، ... »

- أكبرنا : « فما ذنبي ؟ ! ... »

وصرنا قطعة من برد ...

من لا شيء

- « هل أمي

إلى كانون تنسل
إذا أحسست بالبرد ! >>

- >> أمونمواه !

لا تدرين ما وجدني ،
وما يحتاجك المحروم
من ثغر ومن خد ،
مونمواه ..

لو أني ...

نحت الآن قاذفة

لو جهت بها النيران - من ألمي - إلى قلبي ،
شويت اللحم \ أطعمهم \

حرق العظم \ دفأت به صمبي \

ولكن

إنني المهزوم \ في حبي ،
ARCHIVE

وفي <http://Archivebeta.Sakhril.com>

حربي \

وسرنا في اتجاه البرد

لا ندري ، وإن ندري ، لماذا نحن

واليسطال - تحت الليل - نسري في اتجاه البرد ، لا ندري !

- >> عمود ذاك ، محني ؟! >>

ومحني عمود الروح ،

- >> فلنحمي

به أضلاعنا ،

- >> رحماك ...

عمودا في كوى الصحراء

رحماكا ...

فما للتَّور في الظلماء

لولاكا ... >>

عمود التور تهتزُّ به الروح ،

أمن برد ؟!

عمود التور يهتزُّ ...

ثلاثتنا إلتصقنا الآن ...

- >> يحملك سحق الذَّات والأمعاء

سحق في كرى الاهمال والبعد ؟! >>

تقيء الحرب مثل اللَّيل آلافا من الجثث ،

هنا رأس ، هنا قدم ، شواء ، مطعم حربي ،

" بريانيك " يا بشر !

بخوذات موسى ، بالبساطيل ،

بانطقة محرقة ،

لهمنا من مضحيننا ...

وشاركنا كلابا ، أنثويا ، دودا ، وجردانا ...

وتربانا ...

عمود الصَّبَح قد بانا ، ولا صبح ...

يجوع الجوع ...

تنهار ...

إثنان ينامان على مفترش الأرض ،

يمرُّ الوقت ...

إثنان ينامان على مفترش الأرض ،

يمرُّ الوقت

إثنان ينامان على مفترش الأرض

ولا دفء ...

ونبقى في المدى

حجر على حجر

شعر : يوسف سعيد

تبان لعينيّ - بعد تأمل عميق - ان نقاط المطر المهتون ، كموضة صفراء ، مثل
ذهب مصفى كوردة السوسن في ربوع الموصل ، وديار ربيعة
أيتها الابدية ،
أعرفك جميلة الاسم ،
حلوة الحروف ،
أنت يا عاشقة الازمان ، زمن سعادة الحجر في اهرامات خوفو .
الحجر ابجدية الارض ،
الحجر سلسلة بدايات في حضارة نينوى ،
الحجر المجفف فيه كانت مراقبة القمر ، والافلاك السماوية .
في بناء برج بابل ، الحجر تيزك ساقط من سماء ثالثة
الحجر لغة القمر القريب من قريتنا
الحجر يداعب رياحا صباحية
انحناءات رائعة في صفحة الحجر
حجارة تعرف تاريخ أجدادي ، قبل رحيلهم المفاجئ
عن الكواكب البعيدة ،
الحجر يحتفظ بكلمات لغة جديدة .
مزبورة بلغة آرامية نافرة الضلوع
الحجر يتحوّل إلى وسادة في قبر أبي ،
الحجر قرون مزخرفة في هيكل العبادة .
الحجر وحده يحفظ أسرار العواصف والزواجع ،
الحجر يعرف لغة البحر ومسيرة أسراب البط في سماء اراراط .

قناطر من حجر تنحني لها الرياح ، وتطأ الصخور أجسادها ،
لمرور قوافل البرية .

تحت حافات الحجر ، زنبقة حمراء ، ووردة نيسان أنيسة
حجر يداعب قمر اللّيل .

حجر يحتسي ماء من اثناء الغيوم
الحجر يفتح أحشاء الريح ،

والعواصف تفتح بطن الحجر .

واحد وهو الأول بين تسلسل الانبياء ، يعرف جيداً ،

لماذا حطم بيديه لوحين من الحجر

هدفه الأقصى أن يقرأ الوصايا على أصبع الله ويرحل

صوب عجل من حجر .

يبقى الحجر شاهداً على لقاء يعقوب مع خاله لابان الآرامي

نصب حجارة على قارعة الطريق واستظل

تحت أفيائها .

قشّر قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب ،

عن البياض

الذي على القضبان

وتبقى العذارى بانتظار

من سيدحرج الحجر عن فم البئر الملاك والمجدلية وباقى

النسوة ينتظرن وهن ملتحفات بالسواد ،

ويردن ترى من يدحرج الحجارة عن

فم البئر ؟

ومن سيدحرج الحجارة عن فم القبر

اختلاجات فائزة

شعر : عبد الرحمان مجيد الربيعي

- | | | |
|----------------------------|-----|-----------------------------------|
| عراكي يتفجر كالنيازك | 1 - | خارجاً من قبعة المقت |
| أين دنانُ الزمنِ المسعوس ؟ | | إلى معصرة الوقت |
| أين كيمياء اللغة ؟ | | كأسك سوداء |
| تاريخُ السلالات المنطوية ؟ | | رائحةُ الحرائق |
| أين الشفةُ التائهة ؟ | | لفحُ البارود |
| 4 - | | خرائبُ النور |
| أسحب قدميْ | | الاسفلتُ اللاهث |
| باتجاه شاطئ | | العشاق الماضون |
| قد لا أهتدي إليه . | | كن بهذه اللحظة مقيمًا |
| 5 - | | أما ذلك الزمن فاطويه كالرداء |
| هواء قاسد | | 2 - |
| رئات نخرة | | كان مقصورةُ النسيانُ |
| قومُ عتاة | | لا تتسع لنزواتك |
| شجر غادرته أوراقه | | فكن لهذا الشجن زبونًا |
| فأين تستظل ؟ | | أقمِ الولائم الباذخة |
| 6 - | | وانهل من البحرِ المستباحِ المتوسط |
| أعرف أكثر من طريقِ اللوئام | | فضاءً لذراعيك |
| حاول أن تقترب | | 3 - |
| بي رعشة خالدة | | أعاقِر شرودي |
| من ينتزعها ؟ | | |

تونس في 28 - 07 - 1994

مرة أخرى .. وأخرى يا سر كوت

شعر : أحمد جبار صالح

أدوّن .. ما فات التائه

ما فات العائد من عذاباتها ،

حين أدوّن تكون أنت الورق

أنت الناس ..

شاهد الشمس المقتول ،

أعرف قلبك المضمخ بال ...

كالغيوم ..

كالثلج ..

كالقصون الامعة

حين أراك .. أوريما قد لا أراك

أرى البداية القلقة .. <http://Archivebeta.Sakhril.com>

خطواتنا ..

خيالاتنا ..

هجير الحلم والشوارع المسافرة

ذاك معبرنا ..

هاك أمي .. جدتك الأرملة

ذهبت ..

وعدت

ولم تعد .

كريمة هذه الأشياء

هذه القناعات .

هفوتنا أننا نحب الشمس والصبيات ..

أكثر منهم

لهم وريقة الأرق

كالتي نمنا عليها ذات خوف ..

ذات ربح .

وريقة لك ..

ووريقة لي !

العظام

بقلم : علي عبد النبي الزبيدي

1 -

ماذا تحمل في هذا الكيس ؟

عظاماً

لمن ؟

لجنة قديمة !

2 -

يختنق ضوء النهار ، يدلهم ، ينوء تحت وابل الأسئلة التي اعترأها العقم ، الصوت القادم من قعر الجغرافية ، يذكر استحالة عودة العظام إلى مجرى وسياق التاريخ ، الإصابة بفقر التذكر تنمو ، يُحجز لها كرسي في جامعة الأجوبة الفاقدة للوعي ، زمجر الأستاذ الحديث للدراسات التاريخية القديمة : « إن الهياكل العظمية ، هي التاريخ العاري ... »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

3 -

أمه غسلت ثيابه ، حبل الغسيل إنقطع أكثر من مرة ، حتى عجزت عن إقناعه بضرورة الصمود بوجه الأردية التي لا حصر لها ، نظفت غرفته من غبار « شغل » الأزقة الضيقة ، مسحت تراب الذكريات العليلة ، العالقة في سرير الأوجاع ، أضرمت النار في إناء الأبخرة ، صعد الدخان إلى منصة الرأس خارجاً من فتحة سجنه مرفوع الجبين ، بعد أن طرد الشر والشيطان معا ، رشت ماء الورد في زوايا الغرفة ، للزرع رائحة طيبة وسط ننانة سنوات خلت ، أطلقت زغردة مخنوقة وسط حشد المتفرجين القابعين يؤدون صلاة العودة لزمن « خير الله حسين شلتاغ » الجامد .

4 -

عظام من هذه ؟

- لرجل قتل منذ سنين

- 5 -

طفق يحفر ، أثر وجود بعض العظام المنخورة الصغيرة البارز نصفها ، ضريات فأسه أخرجت العظام المتبقية من ظلمة قبر مفترض ، غير نظامي ، أربعة عشر عظما ، هويته التي تاكلت بفعل الدود ، بقايا جمجمة ، دنائير اصفرت وتمزقت .. حمل كيس العظام على ظهره الخرافي ، جر بقايا حكاية لم يكتمل شطرها الأخير ، إلى نور الذاكرة المعطوية ، صرخ : « وجدت عظما ... »

- 6 -

تأطر البيت بالبألونات ومصابيح الضوء المتأرجحة الماكثة ما بين السماء والأرض تؤدي مهمة إنارة وادي الرؤوس ، دماء ... نهر دم يجري من زاوية كانت الذبائح تبتثر رؤوسها وتقطع وتوضع في قدر تأريخ قديم ، فوق نار التوبة ، أخذت أمه تستقبل كل الذين عرفتهم طيلة عمرها المتحرك ، امتلات صالة العرض ، أمسى المغنون يغنون وسط تصفيق موحد ، اضطربت خشبة مسرح الانتظار ، صعد الجميع سطح دار المناسبات ، ثلة مسكت الطبول وأخرى طفقت تنظر إلى طريق الأناشيد والهتافات الصاخبة ، الأطفال ما برحوا يرقصون داخل حلبة الاحتفال البهيج بلا هوادة ، تفوهت أمه بصعوبة : « سيأتي ... لا بد أن يأتي » .

- 7 -

يسير ببطء قاطعا كل الدروب العتيقة ، المذكورة في فهرس خرائط السنة التاريخية المتشعبة ، رأسه المنكس كعلم دولة أعلنت الحداد في ليلة موت مؤرخ الأرض ، لا يأبه للأحداث الخارجية ، طقطقت العظام الأربعة عشر وبقايا الجمجمة ، تثير قرف ظهره الذي اعوج أثر ثقل الموت ، كان خير الله حسين شلتاغ الذائب بفعل صاروخ مدفع متوحش ، ينادي وحشة دربه : « كنت خير الله .. أمسيت عظما » .

- 8 -

المدعوون لحفلة العودة هذم الوقوف بوجه شبح أن يأتي أو لا يأتي ، مضت ساعات الهدوء إلى حال سبيلها ، قانعة ان كل كتب المكتبة المركزية ، أصيبت بالإصفرار ، أثر طلقات مسدس أخرق ، عيار زمن يوم ضوئي ، اسقط رفوفها المستكينة إلى

امرأة من سوبارو *

بقلم : عبد الستار ناصر

في مقهى راما ، على نهر الدانوب ، أخبرني (سانكي ريباس) أنه بحاجة إلى سيجارة ، دخانها تطاير نحو أسماك النهر ، وحين أغرقته بسيجارة ثانية راح دخانها العجيب يمسح بعض ملامح (باكا) سرقت نصف سجايرتي ، وهي تسحبني مثل دبّ كسول إلى قلعة الصيادين ، هناك حيث قالت :

- لا أفهم كيف تجلس مع أغبيى رجل في بودا ؟

كل شيء مباح ، ثمة عند قلعة (سيناييلا) ثلاث بنات يرقصن كما الدراويش ، ليس من رجل معهن ، بعد ألف ومائة عام تكسر هنغاريا الطوق لتلبس (ايف سان لوران) وتلتهم سندويتش (ماكس ونالد) مع أن ماركس وستالين ما زالوا في كوابيس الذاكرة وفي الطرقات الخلفية من العاصمة .

- سانكي ليس غيباً يا باكا ، إنه فقير جداً ، ولهذا فهو خجول جداً .

قالت بإصرار :

- سانكي ريباس ، أغبيى كائن عرفت في حياتي

ثم مدت أصابعها إلى لسانها ، تشمّ (شينا) عند مساماتها البيض ، وتبتسم بلا سبب ، ليس من عاداتي قطع الرغبات ، تركتها ومشيتُ أسرع منها ، أسمع صراخها خلفي ، مع أنها لم تزل تضحك وتشمّ أصابعها وتلهث :

- انتظر أيها (الهرم) المثلوم .

لا أحبها حين تغضب ، هذا الشيء الذي تأخذه من رحيق أصابعها ، إنما يفصل ما بيني وبينها ، أمنعها من دخول محلات (ليفز) هناك حيث يعمل ذاك السافل الذي تسميه (الملك ستيفان) يعطيها ما تشاء من المارجوانا والهيريوين ، تمشي على نغم خفي في الجسد ، لا أفهم من أين تأتي بتلك الشتائم تلصقها على جلدي

* سوبارو : مدينة تقع في الشمال الغربي من هنغاريا ومن أقرب المدن إلى العاصمة بودابست ، وهناك مدن أخرى وأماكن شهيرة يأتي ذكرها على امتداد القصة .

...وأنا أبتعد عنها :

– تعال يا صديقي ، علاجك عندي أيها الصحراوي الباش ،
لم تكن (باكا) غير محطة ، ينبغي عبورها بسرعة ، أخاف هذا النوع من النساء ،
يمكنها أن تذبح إذا لم تحصل على سيجارة (مارلبورو) وهي تشرب القهوة في
مقهى راما على مهبط ذاك الدانوب الساحر .

ما زالت تعوي وهي تشمّ جلدها المدهون بالكوكايين ، تلهث دون دموع وتضحك
دونما سبب :

– أنت أغبي من سانكي ، ولهذا تحبه أيها " الشاه الكش " ، انتظرني ، أنا لا
أريدك مطلقاً ، أنا أريد أن أصفّع وجهك وأرميك إلى الجحيم .

كنت أخافها ، أريد الخلاص بجلدي ، الآن ، قبل أن تجف نباتات ميلانو
وتيريسستا ، هذا النوع لا حدود لقسوته إذا ما أراد أن يشبع مساماته بسموم
صقلية وشمال ميزتور ، كيف لي – أنا الساكن في سكوني – قيادة امرأة جاعتي
من نيران (سويارو) وبراكين حدود كرواتيا ، سرقوها – كما قالت – واغتصبوها
مئات المرات وعادت إلى (بودابست) عساها تعثر على لص أكثر قوة ووسامة ،
حتى جرجرها الملك ستيفان وأعطاهما أكثر مما تستحقه من أسواق (أنيداس) مع
حرية اختيار اليوم الذي تفرغ فيه من شياطينها وجنونها ، ليلة واحدة في الشهر
تكفيه ، كان الملك ستيفان في السبعين من العمر ، ولم تكن (باكا) غير ثك تلك
السنوات .

– أعطاني عشرة آلاف (فورنت) من أجل أن أشرب الشاي معه ، وأعطاني أكثر
من ذلك مرتين وأنا أرقص في غرفته .

باكا تعرف عنوان غرفتي ، والشارع الذي أقطعه صباح كل يوم ، ومقهى راما الذي
أحب ، والمكان الذي أدرس فيه ، أمامي ثلاثة أعوام من الفيزياء ، كيف تراني
أهرب من باكا ثلاث سنوات إذا ما جاءت وهي تشمّ ذاك الشيء من أصابعها تلهث
مثل كلب يسابق عاصفة ؟

– أترك غرفتي ؟ أجل ، والشارع الذي ، ومقهائي الجميل ، كيف بي والمكان الذي
أدرس فيه ليس غير محطة قطار واحدة عن بيتها ؟

قبل أن أختفي تماماً ، كانت (باكا) قد سقطت على حجر القلعة المسنن ، نظرتُ إليها من نهايات قلعة الصيادين ، ترفعها أكفُ الناس ، ينبغي الرجوع إلى (باكا) فوراً ، رأيتها تبتسم وتشير أن اقترب منها ، بقع من الدم لم يمسحها أحد بعد ، سمعتها تهمس :

— أنا لا أحب سانكي ريباس ، لا أحب الأغبياء ، لا أريد أن أراك بعد اليوم ، أريد سيجارة أخيرة أيها الصحراوي الباش .

راحت تنفث دخانها صوب ممر حجري ، رأيتها تبكي ، أول مرة بكت فيها (باكا) ربما ، لكنها قالت وهي تمسح دموعه :

— أنا أبكي غباثي ، كيف أعطيتك وقتي وأنت تخاف حتى المارجوانا ؟ أي رجل أنت بحق السماء ؟

رمت بقية الدخان على نُنْ عيني ، وابتعدت ، لم تلتفت أبداً ، كنت أهدق إليها ، تمشي بهدوء ، لا بد أن نبات ميلانو وتيريستا قد جفَّ تماماً عن ذاك الجسد السامق القوي .. مشيت أسرع منها حتى وصلت ، قلتُ لها وأنا أقطع الطريق نفسه :

— ألا يمكنك ترك هذه السموم ؟ أنت أصغر مني وحرام ضياع شبابك الجميل هذا . قالت بصوت دموي ساخر لم أنتبه إليه منذ عرفتُها :

— اذهب إلى سانكي أيها البلبد ، اذهب إلى قومك فوراً ، احذر أن تراني بعد اليوم ، هل تفهم ؟ أنا احذرك فعلاً .

* * * *

أنا الذي كنت أريد الهروب منها ، أي خطأ راح يجرفني نحو (باكا) ماذا دهاني ؟ كنت أفكر في ترك غرفتي والشارع الذي أمشي به ، والمقهى التي أسكن لياليها ونهاراتها ، فماذا جرى ؟

مشيتُ على جمر من ذكريات ، أقطع جبال (يورال) وأسواق (كيسبر) وعدد أعلى قمة في بودابست ركعت على أرض خضراء ، صليتُ ذاك الوجد القديم الرابض تحت جلدي منذ مئات السنين ، هذه المدينة جثتها ذات مرة ولم تكن هكذا أبداً ، إنها ضحية من ضحايا (مارك سبنسر) و (كريستيان ديور) لم أعد أرى

البراءة التي عشتها ذات يوم .

سمعتُ (سانكي) يردد اسمي بلهفة ، لم ألتفت إليه ، لا أريد أن أراه ، دخلتُ مقهى (راما) وبعد خمسة أمتار من بابها العريض ، شعرتُ بغصة حزن لم أحسُ بها طوال حياتي ، لا أدري ماذا جرى في بحر ساعة واحدة من عمري ، وماذا سأفعل في بقية السنوات الثلاث التي ما زالت أمام عيني ؟

لم يكن من صبر أو حلّ لتلك البلوي ، إلّا بزيارة (الملك ستيفان) وشراء حفنة من المارجوانا ، ربما تسمع (باكا) بما فعلت وتعود إلى فيزيائي الذي تغيّر فجأة لا سيما وأن الرجوع إلى قومي يحتاج إلى معجزة مني .

أسمع سانكي ريباس يلهث خلفي يردد اسمي بوحشية وعناد ، ولم ألتفت أبداً ، فقد أيقنتُ في تلك اللحظة أن سانكي هذا ليس فقيراً ولا خجولاً كما ظننت ، إنه - كما قالت باكا - مجرد شخص غبي .

وما أن هربتُ من سانكي إلى قلعة الصيادين - ثانية - حتى بدأت أشمُ أصابعي وابتسم بلا سبب ، وأنا أصرخ بين صخور القلعة :
- باكا ، باكا ، أين أنت يا باكا ؟
لكن (باكا) لم تلتفت أبداً ، كل واحد منا - باكا وأنا - قال وداعاً لغبي ما .

بقية ما في ص : 75

قعر ضجة مزيفة ، هرب المؤرخون ، ارتفعت أيدي الأطفال الراقصين ، كانت أجسادهم المترنحة تعلن عن توحش بدائي ، أطلقوا صيحات استغاثة إلى منقذ أحلامهم الوردية ، صرخت أمه : « لقد جاء ... ! » لحظة صرختها ، نزل الجميع من سطح المناسبة ، هارين ، مولين الأدبار في طرق ملتوية ، خائفين .. صاح بهم « تنتظرون من ؟ ! » قالوا : « خير الله ... » أنزل حملته أرضاً قائلاً : « هو ذا ... ! » ، ظلّ الكيس قابعا لوحده ، لم يمسه أحد لفترة طويلة ، لحظتها حمل كيسه عائداً به من حيث أتى .

احظّة فادحة

بقلم : ميلون هادي

تحركت ستارة النافذة قليلاً ... وسقطت على الأرض ورقة بيضاء كانت على المنضدة ... نهضت لتعيدها إلى مكانها فأحسّت وهي تنحني على الأرض بدوار خفيف أخلّ بتوازنها قليلاً وجعل رأسها يكاد يفصل عنها ... أغلقت النافذة ثم عادت لتجلس على الكرسي . وضعت ذراعيها على سطح المنضدة بشكل متصالب ثم أسقطت رأسها عليهما وأغمضت عينيها ... لم تكن راغبة في النوم ولكنها تريد اسدال ستار من الظلمة على الأشياء من حولها ... أن تقتل جدران تلك الغرفة المربعة وأثاثها الكامد العتيق الذي نصل منه اللون لكثرة ما غسله النظر ... سمعت وقع أقدام تقترب من الغرفة فرفعت رأسها مرة أخرى ونظرت باتجاه الباب الموارب .

لحظة كأنها انفلتت من نافذة عالم آخر ... عالم لا علاقة له بهذه الغرفة ذات الستائر الكابية والمناضد المحشوة بالأوراق المصفرة ولا علاقة له أيضاً بكل القبح الموجود في الأغصان البلاستيكية المفروزة في قلب " السلة " المغبرة .

قالت في سرّها وهي تنظر إليه :

– أيمكن ذلك ؟

– ابتسم هو .. ثم صوّب نحوها كفه المفروزة السبابة كالمسدس وتظاهر بإطلاق النار عليها وهو يصطنع بغمه صوت الطلقات صاحت بطريقة مسرحية :

– أه

ثم وضعت كفها على قلبها وسقطت على المنضدة . رفعت رأسها ثانية باتجاهه .. وقد فعلت ذلك بسرعة .. فوجدته وهو يرثو إليها مبتسماً ومن عينيّه يشع بريق ندي كالدمع .. ورأته ينزل الكف التي حياها بها . واقفا كطفل سعيد وزاهد في الكلام

قالت له :

– أنت ؟

فقال وهو لا يزال يتأملها :

– نعم .. أنا

قالت له بصوت متهدج :

– لا أصدق عيني ..

ثم استطردت بصوت خائف :

– أين كنت طوال هذا الوقت ؟

قال وهو يضحك :

– كنت ميتاً .

ضحكت بقلق ثم مرت لحظات والاثنان ينظران إلى بعضهما بصمت وذهول وكمن تذكر شيئاً ما فجأة خلعت خاتماً من أصبعها وقالت :

– خاتمك لا يزال معي

– فمد يده وهو يضحك وقال :

– لا بد أنه قد ضاق عليّ الآن .

ورأت علامات الاستغراب تعلو وجهه وهو يرى الخاتم يدخل في بنصره بسهولة ،
قالت :

– هل تجده ضيقاً ؟

قال وهو يحرك بيده اليمنى الخاتم حول بنصره الأيسر بحركة دائرية لا معنى لها
– أبداً .

قالت وهي ترنو إليه كالماخوذة :

– ولكن لم لا تجلس ؟

أطرقت فأحسست بالوار مرة أخرى .. سمعت صوت ملعقة شاي ترتطم في دورانها
بجوف قدح .. فقالت له :

– سأطلب لك شايًا

قال وهو لا يزال ينظر إليها :

– سأجلس . ولكنني لا أريد شايًا

قالت :

– قهوة ؟

– لا أريد شيئاً .. لن أدع شيئاً يقاطع هذه اللحظة ... لا توقظني أحداً فتوقظيه ..
دعيهم لا يعلمون بأمرنا .

قالت :

– ما بك شحبت فجأة ؟

قال وهو ينظر إلى التقويم المعلق على الجدار :

– لا شيء

مدت يدها إليه وغطت بها يده الملقاة على المنضدة كعنكبوت كبير ... وتحسست
مفاصل أصابعه وعظام رسغه وكفه .. أحسّت أن بها رغبة لأن تتمسك بيده تلك
إلى الأبد ... وفي نفس اللحظة سحب هو يدها ومس بها قلبه .

قالت له :

– أين كنت ؟

قال وهو لا يزال ينظر إلى التقويم :

– كنت ميتاً



http://Archivebeta.Sakhril.com

قالت لنفسها : « أيمزح ؟ »
وأحسّت أن خيطاً ما ينفلت رأسه من يدها فيتساقط الخرز منه ويتبعثر على
الأرض . نهضت من مكانها ووقفت في فم الباب ثم نادت على عامل الشاي وكررت
النداء ... لكن أحداً لم يرد . قالت :

– يبدو أنه خرج

قال وهو يحرق يدها من يده :

– من ؟

قالت :

– عامل الشاي ، أردت أن أسأله .

قال :

– تسألينه عن ماذا ؟

قالت وهي تحاول أن تفجر فقاعة القلق بأبرة الضحك :

– قدح ماء .

وحاولت أن تضحك ولكنها عجزت عن ذلك ثم استطردت وهي تستميت من أجل لطم الخيط بالخرز المتساقط مرة أخرى :

– كنت تمزح .. أليس كذلك ؟

فأطرق وغابت الضحكة من وجهه ... ثم مد يده وأمسك يدها مرة أخرى ... وظل صامتا يتأملها وهو يحاول أن يجد طريقة أخرى لتمزيق نسيج العنكبوت الذي يفصل بينه وبينها .. ورأته وهو يتبحر في ملامح وجهها ويتأمل كل خط من خطوطه .. قالت لنفسها وهي تنتظر إليه :

>> كل شيء فيه لم يتغير .. وجهه وضحكته وبريق عينيه .. وكأنني تركته البارحة فقط . >>

وتشبثت بيديه بقوة وهي تحس أنها توشك على الاختناق داخل قلب " السلة " المغيرة .

قالت في سرها وهي تنتظر إليه : فقاعة كبيرة تأخذها بعيداً عنه .. ورأته وهو يرفع عينيه باتجاه التقويم ويغيب خلف غشاء من الدمع ... أرادت أن تكرر عليه سؤالها ولكنها أحست بالوار مرة أخرى .. أسقطت رأسها على ذراعيها الممدودتين على المنضدة وأغمضت عينيها ثم أجهشت بالبكاء .



نعم هو ما زال حيا

بقلم : حمدي مخلص الحديشي

كان النهر هادئا ، والأشجار هادئة معه ، لكن القلط ما زالت تموء عند الشاطئ وهي تلتف حول نفايات من الطعام والأوراق والفواكه ، لكن الكلب الصغير الذي اقترب من تلك الفضلات تمكن من العثور على عظام وخبز ومرق ، راح يشخر ويلهث وهو يلتهم وجبته اللذيذة ... ثم ترك الأوراق والفواكه واتجه صوب الجسر ، حيث يجلس هناك صديقه الوحيد (طارق) ويون حركة أو إشارة منه ، ركن الكلب ذيله ، ونام بينما راح طارق يكتب في أوراق صغيرة بيضاء : أبي العزيز .

النهر ما زال يسري في الشمال إلى الجنوب و الوطن امتد من الشمال إلى البحر وما زال من حبك يسري في قلبي من شمال أورداتي إلى جنوب جسمي وليس لي يا أطيّب الآباء سوى التفكير بك والرجوع إلى طفولتي التي أتذكرها يوما يوما وأنا معك في البيت والعمل والشوارع والأسواق ، معك دائما في النوم واليقظة .. اعتدت عليك حتى صار من العسير علي نفسي أن تغف دون أن تزداد قربا منك ، وصار من المستحيل أن أصدق هذا السفر البعيد الطويل الذي منعني من اللقاء بك ... كأن السفر ملعونا ، وكانت أحزانه أشد ألما من الألم نفسه ، كان لابد لي أن أذهب معك ، أرى ما ترى ، وأعيش ما تعيش وسواء كنت مرتاحا يا والدي أو كنت حزينا ، فانا لا أرغب في شيء سوى أن أكون مثلك في الراحة والأحزان ...

أنت تدري بأنني كل يوم كنت أجلس قرب النهر وأفكر أنكما تتشابهان في أشياء كثيرة ... النهر ممتد وطويل وأنت مثله فارغ الطول وسيم المظهر ، هو يغمر الأرض والناس بالماء والحياة وأنت يا أبي الطيب كنت تغمرنا بالحنان والحب والثقة ... أحببت النهر كما أحببت وجهك الحنون ، وما إن سافرت عنا وابتعد الطريق بنا حتى صار عندي شوق غريب إلى النهر ، اجلس قربه كل يوم ومع صديقي الصغير الذي ربيته منذ ليلته الأولى يأتي معي إلى النهر ، وحين أرجع إلى البيت يرجع معي دون أن يحشر نفسه كبقية الكلاب في ما أفعل . لكن السفر الذي سافرت ، لا بل

أجبروني على السفر به منعني من النهر . ومن صديقي ، ومنك منعوا اللقاء
والحب

سنوات القهر ، سنوات الهواء الثقيل منعني عنك ... لكنني الآن عدت . لا بل
أعادني الرجل مع الآخرين لا غمر وجهي بالنهر ، بك أنت ...
لقد صار وجودي بعض وجودك وأنت هناك في الغربة القاسية ، وصارت حتى
أنفاسي بعض أنفاسك ...

أبي العزيز ... هذه الرسالة الأولى أبعثها إليك بعد عودتي وخروحي من عالم
الأحزان الغريب فأرجو أن تسامحني إذا أخذت من وقتك نصف ساعة أو أكثر
بقليل ، فما عاد من شيء يرحم أعصابي مثل الكتابة إليك وسواء كتبت لي جواباً
أو لم تكتب سأبقي على حبي وولائي واحترامي واشتياقي إلى الأبد ...
* * * *

في الساعة السادسة مساءً رجع وكلبه الصغير إلى البيت بعد أن ترك في
صندوق البريد الرسالة ، ولم يفقل عن كتابة عنوان أبيه ، بل كتب بخط جميل :
بغداد - مقبرة الكرخ ، القبر الثامن - الحاج عبد الرحمان الفرحان ،
<http://Archivebeta.Sakhril.com> وشكراً لساعي البريد .



من وحي الأعماق

بقلم : عبد الأمير المجر

بسرعة ، أرتديت ملابسني وتبعته ، كنت متأكدا أنها ستفعلها هذه المرة وتغادر المنزل ، كان الجو ممطراً ، شديد البرودة ، والمصابيح على جانبي الشارع بدت متضخبة وسط زخات المطر التي راحت تندلق بتموج خفيف من الرصيف إلى الشارع عاكسة صورا مشوهة للسيارات والأشياء الأخرى ، ورغم برودة الجو بدت غير مبالية على غير عاداتها مما زاد من إحساسي بعمق تأثرها ، لم أدعها تكلم السائق الذي أستوقفته ، وأوجزته أنا جهة الذهاب ، لم تمنعني من مصاحبته ، ربما لحاجتها إلى من يوصلها إلى أهلها في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، أخذ صوت الأغنية الحزينة المنبعث من مسجل السيارة يبدد الصمت ويوافق دواخلنا ونحن غارقون في بحر من سكون تجلله أحلام وصور عديدة راحت تتقافز في فراغ مجلسنا الكئيب ، وكان السؤال نفسه يتردد حائرا في دواخلي ، فمئذ ساعات وهو يصطدم بجدار إجابات مبهمه ، وإحباطات تعكسها مشاعري المختنقة من شدة الإنفعال المكبوت ، هل كانت سعاد لا تقدر فعلا ثقل الإهانة التي عدت من عملي أنوء تحت وطأتها ، حين راحت تستخف بطرحي وأنا أشرح لها ما حصل لي مع مديري صباح هذا اليوم ؟ أم أنني وبدافع الروح الحيوانية التي تلبستني كنت أتصور مجاهرته المخلصة معي منذ ساعات المساء الأولى استخفافا بمشاعري ؟ ... لقد كانت بحسها المرفف تستشف دواخلي وتعاملني كطفل مدلل ، عابث ، وكنت أعلم أن شفافيتها تثقل عليها زلاتي الكثيرة ، لكنها وبعد مضي فترة قصيرة على زواجنا صارت تفهمني بشكل جعلها تهين لي الجو المناسب مع كل مزاج من أمزجتي المتقلبة ، إنها حقا امرأة رائعة ، تزدهم القوة بداخلها وصواب الرأي والروح الانسانية العالية ، إنها الحزن الدافئ الذي منحني السعادة والشعور بالأمان ... كان صديقي (عادل) يقول : صدقني يا علاء عندما تكون معي أشعر وكأنني لست بعيدا عن أهلي وأنسى آلام الفراق ، وعندما تذهب بالإجازة ينتابني

شعور غريب ، وتتملكني احباطات لا أعرف مصدرها ، إن في أعماق النفس البشرية نقطة ضعف غير مرئية تبحث دوماً عن ملاذ تحتمي به وتدفعنا لا شعوريا للبحث عن الأمان تحت غطاء من مسميات عديدة ، سمها الصداقة ، العلاقات ، الزمالة ، وكنت أشرح له الشعور الذي يخامرني أيضا عند ذهابه بالإجازة عندما كان عملنا في منطقة بعيدة نائية كان يقول لي دائما : تأن في الزواج وأياك أن تنساق وراء رغبة عابرة ، فانت بحاجة إلى امرأة تفهمك ، تغوص في أعماقك ، وكنت أتمنى لو أنه زارنا بعد الزواج ... كانت سعاد قد تأثرت كثيرا عندما حدثتها عنه وعن الظروف الصعبة التي مر بها وأجبرته على الهجرة خارج البلاد ليلتحق بزوجه الأجنبية وطفليه ، ...

كم هو جميل عتاب الأحبة ، بعد خصام خفيف مفتعل ، أما اليوم فلا أدري ما الذي حصل ، وسعاد هي الأخرى لا أعتقد أنها تفهم كيف حصل ذلك ، لقد كنت هادئا قبل أن أوجه كلامي ، كهواء الجبل الذي تغلي في جوفه حمم بركان كان ثائرا ، لقد كنت محشوا بالنار التي تعمل بداخلي من فرط أحساسي بالحيف ، .. الزمن لن يعود إلى الوراء ، وأنا ممسك بتلابيبه متوسلا بأياه أن يمنحني فرصة لأقول فيها شيئا ، لا أدري ، أي شيطان مارد يتملكني

>> - السيد المدير غير موجود ، إنه خارج الدائرة

- ومتى يعود ؟

- لا أعتقد أنه سيعود ، لقد اتصل به المدير العام وطلب حضوره فورا ، وقد أخبرني بأن جميع المراجعات تؤجل ليوم غد ، الأثرى أن الساعة جاوزت الثانية بعد الظهر ، لم يبقَ الكثير لنهاية الدوام ؟ لا تهلك نفسك يا سيد علاء ، لن يمنحك أحد !!

كان علي أن أرد عليه في حينه ، ليس أنا الموظف الذي يستحق كل هذه الإهانة ، لقد كنت مقررا أن أرد عليه بقوة ، سأقول له ، أنت صفيق وغبي ، أنت تافه وسخيف ، سأقول كل شيء يجعلني أشعر برد الحيف ، لأثبت للموظفين بأنني لص جبان كي أسكت على إهانة لا أستحقها ، أخذت أغلي والنار تستعر بداخلي ، سأبصق بوجهه ، سأستمته ، ولا أدري لحظتها لن وجهت كلامي ، لمديري المائل أمامي ككابوس يخنق أنفاسي أم لسعاد التي حاولت مخلصة أن توقف تدفق الحمم

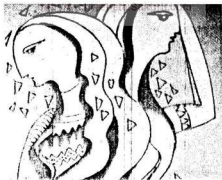
من صدري الملتهب غيظا .. «علاء ، هذه هي المرة العاشرة التي أدعوك فيها لتناول العشاء ، هل تعلم أن الساعة جاوزت الثانية عشرة وأنت مضرب عن الطعام ، ألا ترى أنني أنتظرك ، انس الدائرة ومشاكلها التي لا تنتهي » .. لقد ضغطت على الزر من حيث لا تشعر ، فاندفع الكلام من جوفي كنار ملتبهة أصابت منها مصابا مؤثرا ، انطلقت العبارة مني بهدوء لم تعهده من قبل .. «سعاد ، حقا أنت تافهة وسخيفة !!! » ... تمددت بعدها على الأريكة بعد أن تحررت دواخلي فجأة وشعرت بالارتياح ، ولم أنتبه إلا على وقع أقدامها وهي تهم بمغادرة المنزل ..

بخطوات متثاقلة اتجهنا إلى العمارة ، حيث شقة أهلها ، بعد أن ترجلنا من السيارة ، يشايعنا صممتا المثلث بتساؤلات لا تحصى ، وكنت أدرك أن سعاد تنوء تحت وطأة حملين ثقيلين ، احساس بعمق تأثري الذي أوصل الأمور لهذا الحد ، وكرامتها المجروحة بفعل تهورى ، لم تمنعني من مصاحبتها رغم وصولها إلى منزل أهلها ، ترى ، هل ارتكبنا نحن الاثنين خطأ مشتركا قررنا معاقبة أنفسنا عليه ، ووافقنا بعضنا على أمر نحن فيه مختلفان ، وحسبت أنني سأعود إلى البيت وحدي لأقضي بقية ليلتي مع عذابات جديدة ... اقتربنا من باب الشقة ، كان السكون يلف المكان والكل يغط في نوم عميق ، مرت لحظات ، حبستها دهورا وأنا أراقب تقدمها نحو زر الجرس ، وفي خضم انفعالاتي خيل لي سماع وقع أقدام أمها وهي تهم بفتح الباب ، وتصورتها ترتطم في أحضانها باكية ، ... سأقول لأمها: لقد انتابها شعور مفاجئ بأن مكروها أصابكم وأصرت أن نأتي في هذه الساعة المتأخرة من الليل ، أو سأقول ، لقد اتصل بنا أحد وأخبرنا بذلك ، وباليات الأمر ينتهي عند هذا الحد ... تصورتها تدخل البيت بهدوء بعد أن ترمقني بنظرة غضب ، عندها سأنزل السلم ، تسابقني ألامي وكبريائي الجريح ، وبما أنني أعرف سعاد ، وما تتمتع به من كياسة وحسن تصرف فقد تصورتها تدخل البيت مباشرة دون أن تدع أحدا يراني وتحتوي الموقف بذكائها وبديهيته التي أعرفها عنها ، عند ذاك قفزت أمامي فكرة ، سأنقذ بها كرامتي قبل قوات الأوان هذه المرة ، ... سأقول لها (تصبحين على خير يا سعاد) وأنزل السلم ، بعد أن أدت واجبي تجاهها كزوج لها علي حق مشاركتها أفراحها وأتراحها ! ، رفعت رأسي بعد أن

كنت مطرقا وغارقا في بحر من أحلام ، وفي لحظة خارج الزمن ، لا ندري أن كنا منغلين ، أم أنه توارد خواطر ، كانت تتبع من مشاعر وحدتنا لهذا الحد الغريب ، لقد رفعتنا رأسينا في تلك اللحظة ، ربما هي الصدفة ، الصدفة التي جمعتنا قبل أكثر من ثلاث سنوات ، إنها أجمل صدفة في حياتنا ، ألم تقولي ذلك يا سعاد ؟ ... كانت واقفة بلا حراك تتكئ على الحائط ، وضوء المصباح الخافت ينسكب على قوامها البديع ووجهها الذي أضفى عليه الحنق والحزن طابعا شاعريا ، لم أكن قد رأيته من قبل ، وخيل لي أنني أمام لوحة فنية أبدعتها ريشة رسام ماهر ، كانت لحظة واحدة فقط هي التي التقت فيها أعيننا ، ثم أشحنا بوجهينا نحو الحائط وقد جرفنا فيض عارم من عواطف مكبوتة منبعتة من أعماقنا المثقلة بالشكوى ، وأخذنا نجهش ببيكاء مرنون أن نسأل بعضنا : لماذا ... ؟

كانون الأول 1993

ARCHIVE



أنين ما يحدث عادة

بقلم : فيصل ابراهيم كاظم
(العراق)

كلما أنت (أم محمود) المسنة أورثته احساساً جديداً بالتورم ، وكلما أطلقت من عمق صدرها المنخور أهةً تلبسه الوجع
- ألا تكفين يا أم محمود ؟
- عن أي شيء يا ولدي ؟
- أنينك هذا
- أنا لا أنن
- بل تتنين

- إنه الرماد يا ولدي ... ليس أصعب من أن تحس بانك صرت غريباً في بيتك /
ينن / ويحسب ثلاثة وثلاثين عاماً يكتسبها في قرية من / أنين / ، يحصي أحلام طفولته فيراها كجثث أطفال تكسبها الكوارث أمام أب مفجوع / يتحسس جيبه فيشعر بالهزيمة /
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

/ بين أصابعه ما زال غبار الطباشير المتطاير من اللوحة السوداء عالقاً كرزاذ زيتي /

/ يترك / أم محمود في هذيان شيخوختها عن زوجات الأبناء وجحود الحارة ، /
يترك / لها ولأمه المسنة هي الأخرى / أنين / اللحظة من زمن يتناهى أجساد البشر كالصدأ ويلوذ مندساً بين جدران حجرته ملاذه الأخير كلما أحس بالحرج

...

>> ما يحدث عادة أن المسنين يشعرون بالأمن كلما ابتعدوا عن أيام الشباب ، هذا ما كان يقوله كلما جلس في حضرة أمه شائخة الساقين من كثر ما عانت من داء (الروماتيزم) ، لكنه حين يجلس إلى أم محمود يشعر أنها لا تتأسى بل / تتن أنين / المفجوعين وكثيراً ما سأل نفسه : (لماذا أشعر بأنين أم محمود يتلبس

جسدي كلما جلست إليه ؟)

/ بين حجرته والفضاء الخارجي خطوط تقاطع بعضها /
/ كتب التاريخ لم تعد سوى هراء للخارج المأخوذ بمستجدات ما يحدث عادة /
/ جدران حجرته فضاء رنين لصخب خارجي مهووس بالخبيل /
(رجل لا يعرف سوى قراءة التاريخ وزخرفة اللوحة السوداء بحروفه البيض ولا
يتنازل عن قراءة ما تنتجه البلدة يومياً ليس سوى كسيح في عرف مكاتب
الاستيراد والتصدير والتجارة والسمسرة التي غدت معلماً بارزاً للخارج المتناقض
برغباته)

ثمة أشياء / تحدث / في زمنه الكئيب ، فساد الوقت ظاهرة الشوارع وخريطة لا
تستقر على حال ، ثمة أشياء / تتسارع / .. / تركض / كخيول مجنونة .. بشر /
يركض / .. سيارات فارحة تخطف وأم محمود / تنن / وتقول :
- إنني أجازف بحياتي يا ولدي كلما عبرت الشارع إلى بيتكم
- لماذا ؟

- السيارات يا ولدي .. هذه التي تمرق كالشياطين .. هل تلك سيارة يا بني ؟
- لا يا أم محمود ، أنا لا أملك هذا الكائن الشيطاني ..
- أحسن يا ولدي .. أحسن

/ ينن / و / يرصد / من نافذته المطلة على الطريق الذي اكتسب سعة تجارية
بيوت البلدة القديمة التي صارت تغادر شكلها الأثير إلى نفسه لتحل محلها عمارات
/ المحال التجارية /

/ زمن يهاجر إلى زمن ، زمن يبصق على زمن /
/وجوه تندثر .. علامات نسيان ترتفع /

/ البيوت العتيقة تلوذ خجلي كرجل فقير في ظل العمارات الشاهقة /
/ أصابع لا تعرف غبار الطباشير تزوق بمهارة الثعالب ما يحدث عادة /
/ يتشمم / من فتحة النافذة أخر ما تبقى من رائحة الطفولة ، العمارات تحاصر
جسده بجدران عالية تكتسح ماضيه القريب ... الغربة تزحف إلى روحه ، تحاصر
أنفاسه كصحراء قاحلة تسف الريح ما تشتهي من رمالها الحارقة ، أصدقائه

القدامى (تاكلهم ، سُنن الشوارع والمضاريات والحروب و .. الخ)

/ يئن أنين أم محمود في غربتها /

/ يكتب في دفتر الدرس : (عقد ونصف دعو .. ووو ... ووو عواء ... خو ... ووو ..

ووو .. خواء) ، ويرسم سكيناً وعجلة وطابوقة ، وهذياناً / .. كيف يرسم الهذيان؟

سؤال وجيه قلنقل أنه رسمه كما يأتي :

/ تلاميذ صغار يكتبون الفراغ ويقرأون المزابيل ... رجل عارٍ فوق لوحة يعطل

سوادها لون الخطوط البيض ... بالونات محملة بغازات سامة تنفجر فوق البلدة ..

(جاموس) بقرون حديد يتربع فوق عروش فنادق الدرجة الأولى .. رجل يُخرج

رأسه من جيب بنطاله ويصرخ ... رقعة شطرنج يبادقها صامولات عمياء وأم

محمود تقف فوقها لتصافح الملك /

/ يضج / الشارع التجاري بحركة صاخبة ، نافرة بل متصاعدة في أغلب الأحيان

.. يحس أن سكوتاً خانقاً يخيم عليه .. تلاميذه الصغار يسيحون على الأرصفة ولا

يخلف احتراقهم سوى رائحة النيكوتين ، الغربية يا ولدي هي أن تجد من يقاسمك

شعورك بها على الدوام .. (أم محمود مأزومة منذ وفاة زوجها بعد اغتيال الملك)

/ يصعد / رقعة الشطرنج ... أم محمود (على طرف والمك على طرف وهو يجلس

فوق عباءة الوزير المعطل ليقيس المسافة بين صورة الملك وأم محمود العابرة عامها

السبعين : (خيول تصهل ... بيادق تخرج خارج حدود الرقعة بمأساوية صارخة

... قلاع تنهار ... عمارات تشوهها أشعة ليزرية ... دخان ودم وثمة علامات

لاحتراقات مستمرة) يرسم في دفتر الدرس .

/ يحدث عادة : حمامه ناقص رقبه = انتفاخ الظلمة بما يوجع العظام /

/ فم مليء بالأشواك + نظارات معتمة = بداوة طرشاء /

/ التاريخ + هندسة العمارات = جغرافية الحروب /

(مرة ، أوقفت الملك ... قلت له أنت تركب هذه (الحديدية) التي يسمونها سيارة

وأنا أجهل ما تكون ، عندها نزل من سيارته وأركبني فيها ثم صعد بجانبني

وأخذني في جولة وسط البلدة ثم عاد بي إلى المكان نفسه) وتضحك (أم محمود)

بعد أن تهز يدها :

– وقتها لم يكن يملك السيارة سوى الملك وقلة من أهل البلاط وتساءل:
 – هل تملك سيارة يا ولدي ؟
 – لا يا أم محمود ، أخبرتك بذلك
 – أحسن يا ولدي ... أحسن ... ولكنك لا تملك سيارة ؟
 – اسألني الملك
 – الملك ؟ ألم يقتلوه ! بلى ! اذكر ذلك لقد شهدت موكبهُ بنفسِي ، لقد اغتالوه لأنه
 طالب بالكويت / أنت أم محمود بعدها أنَّهُ المكلوم ... وأنَّ هو بين جدران حجرته
 التي استحالت أضيق من قفص مغلق / .



بقية في صفحة : 67

أشباح مهزلة ...
 تجرّ الخطو للإكبار والزهو ،
 أعمدة من الإخفاق والجوع ،
 من البرد .

الهوامش :

– عبد الأمير الوليد .. قاص وروائي عراقي
 – مونتوا : حبيتي : وطن الحلم البعيد .
 – " بريانيك " : من " برياني " وهي أكلة شعبية عراقية - تخلط فيها أكثر من مادة غذائية
 وأصلها هندي ، وتعني هنا بشاعة المعارك إلى درجة تستحيل فيها الأجساد والبسماطيل
 والأنطقة إلى ما يشبه تلك الأكلة في التنوّع والانسجام حدّ التلاشي في المجموع .
 – لا يخفى - على القارئ - تمايز الأصوات الثلاثة للجنود الثلاثة ، وتداخلها مع صوت الراوي
 والمنولوج الداخلي .

الأقلام الواعدة

إشراف الأستاذ : عبد المجيد زين العابدين

لك أن تقرأ أدب الشباب وتطالع منه ما تسنى لك أن تطالعه . فلا شك أنك واجد فيه دفقا من الحماس والصدق والتفاعل مع العصر والتوفر على آراء ومقترحات تنم عن وعي بالمحيط إلا أن هذه المقروءات بالرغم من كل مواصفاتها الإيجابية تبقى مفتقرة إلى عامل أساسي حتمي ألا وهو اللغة التي تراها لديهم وكأنها تتشكى وتتذمر بصورة أو بأخرى في جل ما نقرؤه لهم .

إن هذه الأداة لا يمكن أن تتأذى لأحباء الكتابة بين عشية وأخرى فلا بد من المطالعة والصبر عليها والتأني في متابعة الآثار الجيدة ، ولئن تقلصت فرص المطالعة اليوم بدعوى التقدم العلمي ومعايشة الوسائل الإعلامية المختلفة إلا أنها تبقى من أهم أسباب الرقي بالأدب الشبابي والنهوض به فلا قدرة على الأدب في غير نزعة إلى المطالعة والإقبال عليها ، وما من أدب إلا واللغة لبأسه الخارجي . فلنتحصن معشر الشباب بالمطالعة مادام الوقت سائحا ووفيرا .

* إلى الشاب رضا أولاد عباس أصيل حاجب العين :

أيها الصديق رضا ، لقد غمرتنا بأعمالك الأدبية في بداية اتصالاتك بمجلة الإتحاف وبالتحديد في ركنها : « أقلام واعدة » وأغلب ما تحوم مواضيعك حول الوطنية . ربما لا أنزع إلى المبالغة إذا قلت إن كلها يرتكز أساسا على هذا الميدان . كان ذلك منذ سنة ألف وتسعمائة وأثنتين وتسعين وأنا أتساءل الآن عن جديدها وهل ما زلت مصرا على هذا المسار أم سجلت نقلة نوعية في شعرك . أرسل إلينا جديدها لكي يتاح لنا الجواب أنشر لك في هذا العدد ما عنوانه : « سأتحدى من عاداك »

بقلبي بعيني سأركاك !!! ؟

يا أرضي الخضراء !

سأرفع لوك

وكلم يهفو عصفور الثورة

أن يكون فداك !!!!!

يا أرضي المعطاء !

سأصون حماك

وأتحدى من عاداك !! ؟؟

سأخضب ضفاف كفي

بحناء دماك !!!!!

* إلى الشابة إلهام الشقيتي أصيلة بنزرت
أهلا بك صديقة جديدة يا أنسة إلهام . لا أخفي عليك أنني من خلال قراعتي
لتصوذك الثلاثة لاحظت أن هناك نفسا شعرياً بإمكانك أن ترقى به إلى مستوى
ما ينشده الأديب الحق في زماننا هذا . أنشر لك تصدك المهور
بعنوان : << أهديك >>

<< أهديك >>

مدينة جميلة	أهديك نخلة
يحاصرني فيها الفناء ...	ثم نخلة
أسوارها أشواق حزينة	والحانا سرميدة
وعند مرافئها سفينة	كأبراج السماء ...
تهوى البقاء ...	أهوى على صدري
أهديك مدينة وإبتسامة	بالف صخرة ...
على الثغر	ويستزفني ذاك النداء ...
عريون الوفاء	فأهديك واحة
قد يغلو الشفاء سلام	وألف قبلة
ولا تحكي أوجاع البقاء	ثم يجهنني البكاء ...
ولا تفي مواويل الصفاء .	أهديك نخلة ومدينة

* إلى الشاب الهادي مفتاح

مرحبا بك صديقا جديدا لمجلك الإتحاف في ركن " أقلام واعدة " طالعت عملك
المهور بعنوان : << ردم على رواح الجسد >> .
كل ما أنصحك به هو أن تسعى إلى استعمال لغة فصيحة مفهومة . أنشر لك في
هذا المجال مقطعا من عملك السالف الذكر .

أعرف أن الزمان غير زمانك
طالما هذا الورم الأثم يساعدك لتصحو فيك الفجيعة
والنوافذ تغاقم شرخها
عرجاء اللون لا تفي بالوعود

تساقط إربا مع إختلال الفصول
فلم يبق منها غير رماد الوفاق
الشمس تجعدت

كانها تتخطى نزوتها الأولى
الملاح القديمة ترقص على وجع الحرق
تلفظ الروح على خد الأغبياء
فأين أوج الارتواء ؟

أين الإناء المرصع يعطر الحياة

* إلى الشاب صلاح سعيد أصيل النفيسة

مرحبا بك صديقا جديدا لمجلك الإتحاف في ركنها : " أقلام واعدة " . إن نصك
إلى " وضاح الجبل " ذلك الجبل من الحزن " والذي مهرته بعنوان « أصبحت
الاشياء .. ثقباً من الكلام » لفته مستقيمة واضحة تدلّ على اجتهادك أنشره لك
في هذا العدد . أرسل إلينا أعمالك حتى نتاح لنا صورة واضحة عن قدراتك
الشعرية أو النثرية :

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

* الإهداء : إلى وضاح الجبل من الحزن
أصبحت الاشياء ... ثقباً في الكلام

كم هو حزين ... سلك الكهرياء

تتشرب عليه العصافير حزنها

في الشتاء

ثم تطير

وتترك عليه

بقعاً من صمتها

مع بقع من بكاء

انطفأ القول

والليل ... أوصد أقماره

كي ينام

واللسان ... ألق عن لغوه
أصبحت الأشياء .. ثقباً في الكلام
لم يكن جنراً لا ... ذلك الذي
أمر جنوده البارحة
ليخرجوا إليه ... إثنين ... إثنين
يسومونه ألوان السهر
إنه الليل ... وقد علق على الكتفين
نجومه
والقمر

* إلى الطالبة حياة المحمدي أصيلة سيدي بوزيد سبالة أولاد عسكري .
أيتها الصديقة لست أخفي عليك أنني أسعد كثيراً عندما أتصفح ما دبجته يراعتك
مما تعدينه شعراً أو تعتبرينه نثراً .
أعمالك هذه ولئن استقامت في سوادها لغة واتضحت معانيها فإن ما أعيب عليك
يتمثل أساساً في هذه التلقائية التي تكتسب بها .
ما أنصحك به هو توظيف بعض الأغراض التي تناولتها بالطرق حتى تكتسب أكثر
بعداً وعمقا وتخلع عنها بالتالي لباس التلقائية والسردية المملة .
أنشر لك أقصوصتك الممهورة بعنوان : « الكابوس » بعد شيء من التصويب
اللغوي .

- الكابوس -

كان حلماً غريباً - بل كابوساً مزعجاً أفقت إثره في حالة يرثى لها من
الاضطراب والغزع ... أسرعت لأغسل وجهي عسائي أمحو أثر الدم الذي علق به
كانت بداية الحلم جميلة إذ وجدت نفسي أركب عربة يجرها حصان وكانت من
أروع لحظات حياتي على الإطلاق حيث كنت أعشق ركوب الخيل . وكان يجلس
بجانبي شيخٌ جليل تبدو علامات الهيبة على محياه وقد زاده الشيب المرسوم على
لحيته بالإضافة إلى زيهِ التقليدي وقاراً على وقار .
كل ما أتذكره هو أنني كنت بجانبه مدعوة من قبله للقيام برحلة إستكشافية .

كان الطقس ربيعيا والجو ممتعا حين سرنا في طريق ملتوية ذكرتني تماما بمدينة " قريص " انطلقنا نحو الجبل الشاهق الذي يبدو وكأنه يتحدى البحر بصموده وعُلوه . سحرتني هذه المناظر الخلابة والالوان الرائعة وخاصة ذلك المنظر الفريد امتزاج زرقة البحر بزرقة السماء ... إنه اتحاد غريب يجعل الناظر لا يملُ الرؤية والاستمتاع به أبدا .

تجاذبت ورفيقي أطراف الحديث في مختلف الميادين ... وكالعادة اندفعت بكل حماس وثقافية .. شعرت بارتياح كبير إلى هذا الشخص وكأني أعرفه منذ أمد بعيد ، لم أخشهُ ولم أشك لحظة واحدة أنه سيلحق بي أدنى ضرر . لم أفكر بفارق الجنس أو السن بيننا .. كان الحديث شيقا أحسست خلاله بانسجام بل انصهار فكري كبير بيننا . في ميدان الأدب والشعر والعلوم ... غير أن هذا لم يمنع من وجود اختلاف تقيمنا وجهة نظر كلينا لطريقة عيشه وخياراته في الحياة وقد أضفى هذا الاختلاف جدلية وديناميكية على الحوار .

شعرت بانتصار كبير في قرارة نفسي توصلت أخيرا إلى دحض تلك الأفكار السائدة وال خاطئة .. نعم لقد تعاملت طيلة هذه الأمسية مع فكر مخض لا جسد إذن ليس ككل نقاش أو علاقة أو كما يحلو للبعض تسميتها " الخلوة " بين جنسين مختلفة يكون مدارها الجسد ، كنت فرحة جدا ، انظر طوال المرحلة إلى محدثي باهتمام وانبهار وإعجاب للباقتة وسعة معرفته وعمق أفكاره التي يضاهي عمق هذا البحر ...

ومرّ الوقت دون أن نشعر به .. فقررنا العودة وكانت الشمس تميل للغروب والجوّ رائعا ، ساحرا وبديعا .. يبدو للناظر وكأنه يجسد لحظة وداع بين الليل والنهار ، بل قلّ لحظة لقاء يعبقها وداع

التفت لرفيقي مبتسمة لأشكره على هذه المرحلة الممتعة غير أنني فوجئت ببريق غريب في عينيّه نظرة جعلت الابتسامة تختفي من شفتي لترسم على شفتيه كاشفة عن أنياب غريبة وصورته لا تشبه البتة صورة محدثي ، في حين امتدت نحوي يده ..

يا الهي ماذا أرى !!! صعقت لرؤية مثل هذه الأظافر .. إنها طويلة وطويلة

جداً ، إنها نشبه لا ، لن أصدق أين أنا مل محدثي فلقد كنت منذ قليل أنظر إليه نظرة تقديس .. إنه إنسان آخر حتما بل إنني لم أعد أميز شكله .. أه إن هذه اليد تقترب مني إنها تستقر على خدي ... أي صرخت بأعلى صوتي من الألم لقد تركت هذه الأظافر ندبا ينزف دما ...

صرخت وأنا أرعد بأنفاس متلاحقة ... إنك مخطئ ... مخطئ لقد أخطأت الاتجاه أخ ... طأت ... الاتجاه ... إلى أن أفقت اثر اصطدام رأسي بالسريير ... أه الحمد لله فلقد كنت أحلم إلا أن تلك الصورة لم تبارح مخيلتي طيلة الأسبوع .

* إلى الشاب معز العبيدي أصيل الكريب :

قرأت لك نصك الذي اخترت له من العناوين : « لست الملووم يا قلبي » ولاحظت أنه ولئن سجل بداية مسيرتك الأدبية مع " الأعلام الواعدة " فإنه مؤثر على أن لك مؤهلات في الميدان الأدبي لا يتسنى لها الظهور إلا بقدر الاجتهاد في مطالعة الآثار الأدبية الجيدة .

أنشر لك من باب التشجيع بداية نصك السالف الذكر « لست الملووم يا قلبي »

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ودفن جسدي ...	لست الملووم يا قلبي ...
وانتحررت أنفاسي	إن طال ليلي
فتعددت سبل الهذيان ...	وأشعلت كؤوسي خمرا
لست الملووم يا قلبي	ودفن همي في الظلام
بعد أن تطايرت مجاهل الأحلام	لست الملووم ...
وأرسلت خفافيش القنوط ...	إن تارقي جفني
على خفاف الأوجاع	وسال دمعي يروي حكاية الأحزان

* وحتى يجمعني بكم أيها الأعزاء لقاء قادم ، أدعو لكم بالتوفيق في مسيرتكم الأدبية .